الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للغة العربية وآدابها

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ٦ | الجزء : ١ | سبتمبر - ديسمبر ٢٠٢٢ م

١٣٨١
١٩٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

النسخة الورقية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٣ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٧٦

النسخة الإلكترونية:

رقم الإيداع ١٤٤٣/٣٢٨٤ بتاريخ ١٤٤٣/٠٤/٠٢ هـ

ردمد: ١٦٥٨-٩٠٨٤

الموقع الإلكتروني للمجلة

http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

asj4iu@iu. edu. sa

البحوث المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء الباحثين

ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

جميع حقوق الطّبع محفوظة للجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

د. عبدالرحمن بن دخيل ربّه المطرفي
(رئيس التحرير)
أستاذ الأدب والنقد المشارك بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن صالح العوفي
(مدير التحرير)
أستاذ النّحو والصّرف المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبدالعزيز بن سالم الصاعدي
أستاذ النّحو والصّرف بالجامعة الإسلامية

د. إبراهيم بن محمّد علي العوفي
أستاذ اللغويّات المشارك بمعهد تعليم اللغة العربّية بالجامعة الإسلامّية

د. مبارك بن شتيوي الحبيشي
أستاذ البلاغة المشارك بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمّد بن صالح الشّنطي
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة جدارا–الأردن

أ.د. علاء محمد رأفت السّيد
أستاذ النّحو والصّرف والعروض–جامعة القاهرة

أ.د. عبدالله بن عويقل السّلمي
أستاذ النّحو والصّرف–جامعة الملك عبدالعزيز بجدّة

***

قسم النشر: د. **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. محمّد بن يعقوب التركستاني
أستاذ أصول اللغة بالجامعة الإسلامّية

أ.د. محمّد محمّد أبو موسى
أستاذ ورئيس قسم البلاغة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر

أ.د. تركي بن سهو العتيبي
أستاذ النّحو والصرف بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامّية

أ.د. عبدالرزّاق بن فراج الصاعدي
أستاذ اللغويات بالجامعة الإسلامية

أ.د. سالم بن سليمان الخمّاش
أستاذ اللغويات في جامعة الملك عبدالعزيز

أ.د. محمّد بن مريسي الحارثي
أستاذ الأدب والنقد في جامعة أم القرى

أ.د. ناصر بن سعد الرشيد
أستاذ الأدب والنّقد بجامعة الملك سعود

أ.د. صالح بن الهادي رمضان
أستاذ الأدب والنقد . تونس

أ.د. فايز فلاح القيسي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الإمارات العربية المتّحدة

أ.د. عمر الصدّيق عبدالله
أستاذ التربية وتعليم اللغات بجامعة أفريقيا العالمية–الخرطوم

د. سليمان بن محمّد العيدي
وكيل وزارة الإعلام سابقًا

قواعد النشر في المجلة (*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلاً من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية وباللغة الإنجليزية.
- مستخلص للبحث لا يتجاوز (٢٥٠) كلمة؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- كلمات مفتاحيّة لا تتجاوز (٦) كلمات؛ باللغتين العربيّة والإنجليزية.
- مقدّمة.
- صلب البحث.
- خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات.
- ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية.
- رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.

- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة: http: //journals. iu. edu. sa/ALS/index. html

محتويات العدد

م	البحث	الصفحة
١)	**جهود التركستاني في التأصيل اللغوي: كتاب في أُصُولِ الْكَلِمَاتِ نموذجا** نوال بنت نفاع بن حماد المطرّفي	٩
٢)	**عقد جوهر في الكلام على سورة الكوثر لسراج الدين عمر بن إبراهيم بن نجيم (ت١٠٠٥هـ) دراسة وتحقيق** د. عادل بن محمد بن جليوي الرفاعي	٩٧
٣)	**ما تردد الجوهري في الحكم عليه بالمولد** د. أحمد بن عواد بن سلامة العبدي الشمري	١٥٥
٤)	**إحداث قولٍ ثالثٍ في الدرس النحوي" دراسة أصولية تطبيقية** د. طارق بن هندي الصاعدي	٢٢٣
٥)	**المشهد اللغوي في مدينة الرياض: دراسة وصفية تحليلية للغة المستعملة في لافتات المحلات التجارية** د. فهد بن صالح العليان	٢٧٥
٦)	**انتصار ابن عصفور لسيبويه على المبرد** د. سعود بن أحمد بن عبد الرحمن المنيع	٣١٣

م	البحث	الصفحة
٧)	**التماسك المعجمي في سورة (الإنسان) في ضوء علم اللغة النصي لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها** د. مصطفى سعد عبد الرحمن الخضر	٣٦٧
٨)	**استراتيجيات الخطاب النبوي مقاربة تداولية في سياق غزوة تبوك** د. علي بن يحيى نصر عبد الرحيم	٤١٣
٩)	**بلاغة التمثيل في القصص النبوي** د. نورة بنت عبد الرحمن الحربي	٤٨١
١٠)	**السِّياقاتُ المجتمَعية ودورُها في استلاب الذات في القصة القصيرة "قراءة نقدية تحليلية في حَواف الأعمال الكاملة للأديب إبراهيم شُحبي"** د. ابتسام علي رويحج الصُّبحي	٥٢٧
١١)	**التناص العنواني ودلالته في ديوان مزاجها زنجبيل لفواز اللعبون دراسة سيميائية** د. فاطمة بنت سعيد أحمد العمري	٥٨١
١٢)	**فنّ الاحتجاج بالعواطف في الشّعر الشّاكي لامية الرّاعي النّميري نموذجا** د. أسماء بنت عوض الجميعي	٦٢٣

بلاغة التمثيل في القصص النبوي

The Rhetoric of Representation in the Prophetic Stories

د. نورة بنت عبد الرحمن الحربي

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

البريد الإلكتروني: Norahaalharbi2030@gmail.com

المستخلص

يعنى البحث بدراسة بلاغة التمثيل في القصص النبوي، ويهدف إلى الكشف عن ملامح القصة التمثيلية النبوية وخصائصها وأنواعها، واستظهار جماليات الأسلوب والتركيب البلاغي فيها.

وبينت الدراسة دور فن القصة التمثيلية في الدعوة إلى الله ﷻ، وكونها منبرًا من المنابر الدعوية التي ساهمت في نشر الرسالة المحمدية، وما لها من أثر فكري وتربوي في نفس السامع والمتلقي.

وقد قامت الدراسة على مقدمة تتحدث عن أهمية البحث ودوافع اختياره وأهم الدراسات السابقة ومنهجه وخطته، ثم جاء التمهيد بحديث عن الفن القصصي في الحديث النبوي من حيث المعنى والخصائص والأنواع، فيما جاء المبحث الأول مبينًا لفن القصة التمثيلية في الحديث النبوي، واستجلاء بلاغة القصة التمثيلية من حيث المفهوم والأنماط، والموضوعات، والغايات، في حين جاء المبحث الثاني مستظهرًا لبلاغة جماليات القصة التمثيلية بذكر نماذج من الحديث النبوي الشريف، للكشف عن بلاغتها ومواطن الجمال فيها.

ثم اختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت أبرز النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: إيثار النبي ﷺ استعمال فن القصة التمثيلية في الدعوة إلى الله، وإقناع المخاطبين من صحابته وأمته، وبروز بلاغة أثر القصة التمثيلية في إيضاح الكلام وخبايا المعاني الكامنة وراءه، كما يلحظ تناسب وكثرة استعمال فن التمثيل القصصي في مقامات النصح والإرشاد والتعليم، والتحذير من عواقب الأمور.

الكلمات المفتاحية: الحديث–النبوي–البلاغة–التمثيل–القصة.

Abstract

The research is concerned with studying the rhetoric of representation in the prophetic stories, and aims to reveal the features, characteristics and types of the prophetic representational story, and to display the aesthetics of style and rhetorical structure in it.

The study showed the role of the art of the representative story in the Daʿwa (calling to Allah), and its being one of the Daʿwa platforms that contributed to the dissemination of prophet Muhammad's message, and its intellectual and educational impact on the soul of the listener and recipient.

The study was based on an introduction that talks about the importance of the research, the motives for choosing the subject, the most important previous studies, its approach and its plan. The preface talks about the narrative art in the Prophet's hadith in terms of meaning, characteristics and types. The first topic came as an explanation of the art of the representative story in the Prophetic hadith, and the eloquence of the representative story in terms of concept, patterns, themes, and purposes. The second topic came to display the eloquence of the aesthetics of the representative story by mentioning examples of the noble Prophetic hadith, to reveal its eloquence and the beauty in it.

Then the study concluded with a conclusion that included the most important findings and recommendations. the most important of which are: the Prophet's preference to use the art of the representative story in Daʿwa, and persuading the addressees amongst his companions and his nation, the emergence of the impact of the rhetoric representative story on clarifying the speech and the hidden meanings behind it, as it is noted the fit and the frequent use of the art of narrative representation in places of advice, guidance and education, and warning against the consequences of matters.

Keywords: Hadith – Prophetic – Rhetoric - Representation – story.

المقدّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم، النبي الكريم الذي أرسل رحمة للعالمين، أفصح الثقلين لسانًا، وأعذبهم بيانًا، والصلاة والسلام على آله الأبرار وصحابته الأخيار.

أما بعد؛ فإن القصة النبوية الشريفة تعد إحدى الركائز الأساسية والمنابر الدعوية التي استعان بها النبي ﷺ لنشر دعوته وترسيخ القيم والمبادئ الأخلاقية في المجتمع؛ فقد كان الغرض الأسمى والأول في القصة النبوية الدعوة إلى عبادة الله ﷻ وحده وترك عبادة الأصنام والأوثان، وكان النبي ﷺ يتخير في دعوته الأساليب المحققة لغرضه الأسمى، لا سيما وأن القصة النبوية تمتاز بقدرتها على تصوير نواحي الحياة وعرض الشخصيات بما تحمله من أخلاق وأفكار واتجاهات مختلفة، وهذا بالطبع له أثره البالغ في نفس المتلقي بانشراح صدره وتجاوبه مع الشخصيات وما تمثله من قيم وما تتخذه من سلوكيات في حياتها اليومية، كما أنها ستجعله ينفر من الشرك وأهله وما تنطوي عليه نفوسهم من ظلام وضلال.

إن للقصة في الحديث النبوي الشريف منزلة رفيعة ومكانة سامقة في نفوس البشر على اختلاف ثقافاتهم وأعراقهم وعاداتهم وبيئاتهم، وتعد أحد المعالم الهامة التي ميزت الحديث الشريف لما تحمله من فصاحة وبيان وعناصر فنية وأسلوبية، جعلت الكثير من الباحثين يقبلون على دراسة هذا الإرث العظيم المتمثل في أحاديث النبي ﷺ التي تعد بعد القرآن الكريم "دستورًا إسلاميًا أزليًا خالدًا، ونظامًا دقيقًا تامًا متكاملاً"(١).

وقد وظف النبي ﷺ الفن القصصي في أحاديثه الشريفة لحرصه على تكوين الأثر الإيجابي وحصول التغير المطلوب لدى المتلقي، فالقصص النبوي كان وما يزال مادة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وتمدهم بزاد تهذيبي من سيرة النبيين وأخبار السابقين.

وكان الرسول ﷺ في توظيفه للقصة تربويًا "متأثرًا بمنهج القرآن الكريم التربوي؛

(١) محمد الدليمي، جمهرة وصايا العرب ١٢/٢.

الذي استخدم القصة لجميع أنواع التربية التي احتواها منهجه التربوي"[١]، ويتجلى ذلك في امتثاله لأمر الله ﷻ بأن يقص على الناس ما يعلمه من القصص لعلهم يتفكرون في أخبار السابقين؛ فيأخذوا منهم العظة والعبرة لأنفسهم إن كانوا ظالمين، ويتأسوا بهم إن كانوا صالحين ،كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦].

ولهذا فإنه لما كان البيان النبوي امتدادًا وبيانًا للقرآن الكريم، كان للقصة النبوية استعمالًا جليًا في تحقيق الأهداف الدينية، وكانت استعانته ﷺ بالمنهج القصصي كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ﷻ، منهجًا مجديًا في بلوغ رسالته الآفاق.

ومما لا شك فيه أن للقصة أثرًا قويًا على النفس الإنسانية، فهي وسيلة من الوسائل المثيرة للفكر الإنساني والمربية للنفس البشرية، وإذا ازدانت القصة بفن التمثيل فإنها ستكون ذات أثر أعمق وبعد أقوى في الدعوة إلى الله ﷻ، وبالتأمل في القصص النبوي تتجلى (القصة التمثيلية النبوية) التي يظهر فيها اشتمال القصة على المثل بتوظيف بليغ مؤثر نابع من بلاغة الحديث النبوي.

أهم الدراسات السابقة:

١–دراسة (التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي: من خلال صحيح البخاري)[٢]، هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن معنى التشبيه التمثيلي وأغراضه البلاغية وخصائصه الفنية في الحديث النبوي، وبُنيت دراسة الشواهد النبوية على الأغراض البلاغية كالترغيب والترهيب وغيرها، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: تحقق الغرض البلاغي من التشبيهات التمثيلية على نحو دقيق، إذ لم يكن التشبيه هدفًا في ذاته، وإنما وسيلة لإظهار الخفي من المعاني وسهولة إدراكها.

٢–دراسة (التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف: دراسة بلاغية في البيان النبوي)[٣]، هدفت الدراسة إلى الكشف عن الامتداد التاريخي لتعريف التشبيه

(١) محمد الزير، القصص في الحديث النبوي ص/٤٤٣.

(٢) محمد السيد عبد الرزاق، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.

(٣) زينب دوادي، التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف.

والتمثيل عند علماء البلاغة القدامى والمحدثين، وعرضت لذكر الخصائص الفنية للتشبيه التمثيلي وعلاقات التمثيل المتعددة، مع ذكر نماذج من القرآن الكريم والحديث الشريف وكذلك من الشعر الجاهلي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: تعدد نظرات البلاغيين إلى التشبيه التمثيلي واختلافهم في تعريفه، وتجلي قدرة البيان النبوي على تجسيم وتشخيص المعاني الذهنية المجردة.

٣-دراسة (من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي)[١]، هدفت الدراسة إلى الكشف عن محاسن التشبيه التمثيلي وإظهار السمات والخصائص البلاغية في نماذج من الحديث النبوي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: كثرة استعمال أسلوب التشبيه التمثيلي في مقامات النصح والإرشاد والتعليم، لما له من أثر بالغ في توضيح المعاني وإثارة الفكر وتصوير المعقول في صورة المحسوس.

٤-دراسة (القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف دراسة أسلوبية) [٢]، هدفت الدراسة إلى الكشف عن معنى التمثيل وأنواعه وخصائصه وارتباطه بالبلاغية، وركزت في تناول النماذج على الأبعاد الحجاجية، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: أن القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف جاءت نمطًا أسلوبيًا لخدمة وتوضيح المشبه وتقريبه من الأذهان.

٥-دراسة (القصة النبوية في الصحيحين)[٣]، هدفت الدراسة إلى تناول النصوص القصصية الواردة في الصحيحين تناولًا عامًا دون التركيز على الفن التمثيلي، باعتماد المنهج النقدي التحليلي، حيث توصلت إلى عدد من النتائج أهمها: اهتمام النبي ﷺ بلغة الحوار في النص القصصي، واعتماد خطاب الحكاية غالبًا فيها.

وبالنظر في المؤلفات البلاغية السابقة التي تناولت قصص الحديث النبوي بالدراسة؛ نجد أن مدار البحث فيها قائم إما على بلاغة القصة النبوية بشكل عام، أو

(١) رمضان أوزمن، من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي.
(٢) أسماء الخطاب وعلي يونس، القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف.
(٣) محمد الدكان، القصة النبوية في الصحيحين.

بلاغة فن من الفنون فيها، أو الاعتماد على المنهج الاستقرائي فقط، أو منهج التحليل الحجاجي أو الوصفي فقط، بخلاف هذه الدراسة التي تركز على الجانب الاستقرائي والوصفي والأسلوبي معًا، لذلك نظم هذا البحث للوقوف على بلاغة التمثيل في القصص النبوي، والتركيز على أحاديث القصة التمثيلية وما تحمله من معان وأساليب بلاغية جديرة بالذكر والإيضاح والإبانة، والبحث عن أوجه البلاغة الكامنة فيها، ومدى تجلي البعد الجمالي في الربط بين القصة والمثل المشتملة عليه، وبيان الدور المهم لكل منهما في تثبيت المعنى المراد، وبلوغ الهدف المنشود.

وقد قام البحث على منهج الاستقراء والتحليل الوصفي والأسلوبي في بيان مباحث البحث ومعانيه، وفق التقسيمات الآتية:

المقدمة: وفيها الحديث عن أهمية البحث، ودوافع اختياره، وأهم الدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

التمهيد: الفن القصصي في الحديث النبوي.

اشتمل على تعريف القصة لغًة واصطلاحًا، وحديث عن القصة النبوية وخصائصها وأنواعها.

المبحث الأول: القصة التمثيلية في الحديث النبوي.

وفيه استجلاء لمفهوم القصة التمثيلية وبلاغتها في الحديث النبوي، من حيث المفهوم والأنماط، والموضوعات، والغايات.

المبحث الثاني: جماليات القصة التمثيلية في الحديث النبوي.

فيه دراسة تحليلية لنماذج القصة التمثيلية النبوية، للكشف عن بلاغتها ومواطن الجمال فيها.

الخاتمة: وفيها بيان لنتائج البحث والتوصيات.

وأسال المولى ﷻ أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يضاعف به الأجر في الدنيا والآخرة

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله حمداً كثيراً يليق بجلاله وعظمته.

التمهيد:

تعد القصة من الفنون الأدبية المؤثرة، ووسيلة من وسائل التبليغ والتعبير عن الأفكار والرؤى التي توجه الإنسان في جميع ميادين الحياة، تناولتها المعاجم العربية بالدراسة وبيان مفهومها اللغوي، فجاء في تعريفها أنها: "مأخوذة من قصّ أثره، يقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئًا بعد شيء، والقصة: الخبر، وهو القصص، وقص عليَّ خبره يقصه قصًا وقصصًا أورده"(١)، فالقصة هنا بمعنى: الخبر ورواية الأمر، ووردت المعاني نفسها في المعجم الوسيط بتعريفها أنها: "الجملة من الكلام والحديث والأمر والخبر والشأن، وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معًا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي"(٢).

ولم تستقر القصة على مفهوم اصطلاحي محدد وتعريف ثابت؛ نظرًا لمواكبتها حياة الإنسان المتغيرة والمتطورة في كل مراحل حياته، فمن تعريفاتها: "مجموعة من الأحداث يرويها الكاتب، وهي تتناول حادثة واحدة أو حوادث عدة، تتعلق بشخصيات إنسانية مختلفة، تتباين أساليب عيشها وتصرفاتها في الحياة على غرار ما تتباين حياة الناس على وجه الأرض، ويكون نصيبها في القصة متفاوتًا من حيث التأثر والتأثير"(٣).

ومنها أيضًا أنها: "عبارة عن نص أدبي يسرد فيه الكاتب أحداثاً معينة، تجري بين شخصين أو عدد من الأشخاص، يستند في قصِّها على الوصف والتصوير مع التشويق، حتى يصل بالقارئ إلى نقطة تتأزم فيها الأحداث وتسمى العقدة، فيتطلع القارئ معها إلى الحل الذي يأتي في النهاية"(٤).

(١) ابن منظور، لسان العرب ٥٢/١٢. وذكر المعنى نفسه الفراهيدي في كتابه العين ٣٩٥/٣.
(٢) المعجم الوسيط ص/٧٤٠.
(٣) محمد نجم، فن القصة ص/٧.
(٤) إسماعيل عز الدين، الأدب وفنونه ص/٦٥.

ويعتبر فن القصة من الفنون الأدبية العربية الأصيلة تداولها العرب في حديثهم وأخبارهم، وأسلوب من الأساليب التربوية جاء بها القرآن الكريم والحديث الشريف، كما يعتبر قص القصص منهج رباني أمر الله ﷻ به نبيه ﷺ؛ لقوة تأثيره النفسي العميق في ذهن السامع والقارئ وفي أفكاره وسلوكه، والمنهج القصصي يعد منهجًا له "آثار تربوية عظيمة قد لا تتحقق في غيرها من الأساليب التي جاءت بها التربية الإسلامية، فالقصة القرآنية والنبوية تمتاز بميزات جعلت لها آثار نفسية وتربوية بليغة محكمة بعيدة المدى على مر الزمن، مع ما تثيره من حرارة العاطفة وحيوية النفس، فتدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزيمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها والعبرة منها"(١).

وقد حفلت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث القصصية التي اتخذها النبي ﷺ منهجًا في الدعوة وعاملًا مساعدًا فعالًا في التأثير على النفوس والأفئدة، "إذ نجد في الحديث النبوي الشريف أخبارًا كثيرة كان الرسول ﷺ يرويها كلما استدعت الحاجة ذلك في معرض تبليغه الدين الجديد، وتعليم أصوله وقواعده وأخلاقه وآدابه"(٢).

إن مفهوم القصة النبوية لا يخرج عن مفهومها عند العرب، وتعد مفسرة وشارحة لكل ما جاء في القرآن الكريم، بكونها "لونًا بيانيًا، ونوعًا أدبيًا من ألوانه وأنواعه التي تتعانق في تقرير الدين، وتتجاذب لتمكين مبادئه السامية في قلوب البشر"(٣)، وهذا التوافق يؤيد كون القصة النبوية وسيلة من وسائل الدعوة التي اعتمدها النبي ﷺ في التعليم والتوجيه والإرشاد.

والقصة النبوية تتميز بخصائص عديدة منها(٤):

١–الصدق والواقعية: الحديث النبوي ليس بحديث يفترى، بل هو حديث بني على حقائق ووقائع صادقة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ

(١) خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص/٢٣٤.
(٢) إبراهيم صحراوي، السرد العربي القديم ص/٧٣.
(٣) كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص/٤٥٠.
(٤) ينظر: القصص في الحديث النبوي ص/١٦٧-١٧٠.

﴿يُوحَىٰ ۝٤﴾ [سورة النجم]، والفن القصصي كان دعامة لتلك الحقائق والبينات التي ساهمت في ترسيخ العقيدة في القلوب، إذ أن القصص الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي تعد حكاية عن أخبار صادقة لوقائع تاريخية حدثت، أو تنبؤات مستقبلية، أو غيبيات أخروية، أو أحداث واقعية، كان لها الأثر العظيم في نفوس المسلمين.

٢-ذات هدف واضح وبين: القصة في الحديث النبوي لا تحكى لمجرد التسلية بها، وإنما تساق لإيضاح مبدأ، أو للدعوة إلى معروف ونهي عن منكر، أو إرساء لقيم الدين الحق، إلى غير ذلك من الأهداف التي تستهدف تربية الروح والعقل والجسد معًا، ومقصدها التربية والتوجيه والدعوة ترغيبًا في الخير وترهيبًا من الشر.

٣-بلاغة النظم: تتميز القصة النبوية ببلاغة النظم المتمثل في دقة الإيجاز، وبراعة الإعجاز، وسهولة الألفاظ، وبساطة التعبير، وقوة التراكيب، وسلاسة الأسلوب، والوضوح والتصوير المشوق، "بحيث يسترسل القارئ أو السامع مع القصة في متابعة جيدة، لا يشعر خلالها بأدنى عناء أو تعثر"(١)، وهذا مما يجعل القصة النبوية قصة فنية متكاملة، قريبة من الفهم، ورودها في النفس أيسر، ووقوعها في الوجدان أعمق، وأثرها في السلوك أظهر.

٤-الأصالة: تتميز موضوعات القصة النبوية بالأصالة والقوة التي تنطوي مضامينها على جوانب متنوعة من القيم والمبادئ، حاملة الأفكار العميقة، والمعاني الغنية، والقضايا الدينية الهامة؛ التي تستهوي الفرد المسلم تاركة الأثر البالغ في نفسه وفكره، ويجد المتأمل في القصص النبوية أن مميزاتها لا حصر لها، ومن أهمها ارتباطها بقصص القرآن الكريم، وهذا الارتباط نابع من "القيمة الدينية المحكمة للقصة النبوية، حيث أنها حق وصدق باعتبار من صدرت عنه، كما أن فيها من تجسيد معاني هذا الدين العظيم في نفوس معتنقيه ما يضمن لها التألق والتفوق على سائر الفنون البشرية النثرية الأخرى"(٢).

(١) القصص في الحديث النبوي ص/١٦٨.

(٢) محمد الدكان، القصة النبوية في الصحيحين ص/٢١.

وتنقسم القصص الواردة في الحديث النبوي إلى خمسة أنواع(١):

أولاً: القصص التاريخية: يعرض هذا النوع من القصص الأحداث التاريخية للأنبياء والرسل عليهم السلام الواقعة في زمن مضى، وبعض من التجارب الذاتية والقصص الواقعية المعاصرة التي وقعت للرسول ﷺ في فترات مختلفة من حياته، صاغها النبي ﷺ لغرض ديني أساسه الصدق الموضوعي، وركيزته العظة والتوجيه والإرشاد.

وتشمل القصة التاريخية ما ورد من قصص الأنبياء والمرسلين وما أصابهم من تكذيب وتعنت من أقوامهم، كقصة موسى عليه السلام وفرعون وبنو إسرائيل، وقصص أنبياء الله نوح، وصالح، وهود، وشعيب عليهم السلام.

ثانيًا: القصص الغيبية: تتناول القصة الغيبية أحداثًا ووقائع من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مستمدة أحداثها من مشاهد يوم القيامة، وهذا النوع من القصص يؤيد صدق نبوة النبي ﷺ، ويعمق الإيمان بالغيب في نفوس سامعيه، ويعد معينًا لا ينضب من التوجيهات والدروس التربوية، ومن القصص الغيبية النبوية: حديث رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة، وحديث الشفاعة العظمى.

ثالثًا: القصص التمثيلية: وهي كل قصة بدأت بتشبيه تمثيلي، ودلت أحداثها على إمكانية وقوعها وحدوثها، ومن الأمثلة على القصة التمثيلية في الحديث النبوي: حديث السفينة، وحديث الهبة والعطية، وهذا النوع من القصص هو موضوع هذه الدراسة.

رابعًا: القصص الواقعية: في هذا النوع من القصص يروي فيه النبي ﷺ أحداثًا ووقائع حدثت له حياته سواء أكانت في السلم أم في الحرب، ومن الأمثلة على القصص الواقعية في السنة النبوية: حديث قصة الإسراء والمعراج، وحديث شق صدر النبي ﷺ وغيرها.

(١) ينظر: مأمون جرار، خصائص القصة الإسلامية ص/١١٣-١١٧، والقصة النبوية في الصحيحين ص/٣٤-٣٧.

خامسًا: القصة القصيرة: وهي القصة التي تتناول حدثًا من الأحداث فتعرضه في صورة سريعة، وفي تعبيرات وألفاظ ومفردات مركزة، وهذا النوع من القصص لا يعنى بالتفاصيل الدقيقة، ولا بالوقائع والأحداث المتصلة المترابطة مع بعضها البعض، ومن أمثلة القصة القصيرة في الحديث الشريف: حديث المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها، وحديث الدائن والمدين من بني إسرائيل، وغيرها.

سادسًا: القصة الطويلة: وهي التي تتناول حيزًا كبيرًا من التفاصيل والأحداث، وتعنى برسم الشخصيات وإبراز سماتها وملامحها، ومن ثم فإنها تتسع لجوانب أرحب ووقائع أفسح، فقد يطول حيز الزمن وتمتد الأحداث وتتكرر المشاهد وتتنامى وتتطور حتى تصل إلى غايتها مرورًا بالعقدة وتوصلاً إلى الحل(١).

ومن القصص الطويلة في الحديث النبوي: حديث قصة أصحاب الغار، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى، وغيرها.

(١) ينظر: فن القصة ص/١٣.

المبحث الأول: القصة التمثيلية في الحديث النبوي

يرتبط المثل بالبلاغة ارتباطًا وثيقًا إذ إن خصائص المثل هي نفسها خصائص البلاغة من حيث (إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه)، ويعد المثل حكمة العرب في الجاهلية والإسلام حيث كانت تستعمله في تعارض كلامها، فتبلغ به ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح، وقد ضربها النبي ﷺ وتمثل بها هو ومن بعده من السلف(١)، يقول الزمخشري: "الأمثال قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة والركن البديع إلى ذرابة اللسان وغرابة اللسن، حيث أوجزت اللفظ، وأشبعت المعنى، وقصرت العبارة، وأطالت المغزى، ولوحت فأغرقت في التصريح فأغنت عن الإفصاح"(٢).

ويعرف المثل في أصل اللغة بمعنى الشبيه والنظير، ثم نقل منه إلى القول السائر الممثّل مضربه بمورده أي: الشيء الذي يضرب لشيء مثلًا فيجعل مثله، ويأتي بمعنى الصفة، وبمعنى العبرة والعظة وغيرها من المعاني(٣)، ويعرفه ابن القيم بقوله: "الأمثال تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما بالآخر"(٤).

ويعد المثل لما يمتاز به من خصائص بلاغية وقيمة فنية؛ "صورة بلاغية قصصية تنبني فيها العبارة على التمثيل بالدرجة الأساس، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب، أو ما يسمى بالتشبيهات التمثيلية"(٥)، وبالنظر إلى نتيجة البحث في الأصل اللغوي لكلمة (مثل) تتجلى عدد من المصطلحات البلاغية التي اقتبسها علماء البلاغة كمصطلح التمثيل، والتشبيه التمثيلي، والاستعارة التمثيلية، والقصة التمثيلية.

(١) ينظر: ابن سلام، الأمثال ص/٣٤.
(٢) الزمخشري، المستقصي في أمثال العرب ١١٩/٢.
(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ١٤٤٩/٢.
(٤) ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٢٣/١.
(٥) شعيب الغزالي، مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير ص/ ٢٨٩.

والقصة التمثيلية من أنواع القصص التي يغلب استعمالها في الحديث النبوي وذلك لدورها في إيضاح المعاني وتقريبها للأذهان، وقد جاء في تعريفها أنها: "نوع من القصة النبوية يضربه الرسول ﷺ مثلًا للفكرة المطروحة أو القضية المقررة بصرف النظر عن كون هذا المثال قد وقع فعلًا من الناحية التاريخية أو لم يقع، فهي قصص أقرب إلى النموذج والمثال، صالحة للتطبيق على امتداد العصور وتباين الأمكنة وتعددها واختلاف البيئات وأنماطها"(١)، وهي تصور عدد من الوقائع والأحداث التي وردت على لسان النبي ﷺ بلغة سهلة وميسورة الفهم على المتلقين والمخاطبين؛ خالية من الصور الفنية المعقدة والتراكيب المبالغ فيها.

وبإمعان النظر في قصص الحديث النبوي يتجلى كثرة استعمال القصة التمثيلية في الخطاب الدعوي؛ لما لها من تأثير مضاعف في العواطف والعقل والوجدان، وقدرتها على "تقريب وشرح المعاني والحقائق المجردة، خاصة تلك الحقائق السامية، والمثل العليا، وذلك بصياغتها في صورة حسية قريبة الفهم وواضحة التصوير، كتشبيه الغائب بالحاضر، والمعقول بالمحسوس، وكقياس النظير بنظيره"(٢).

وتعد القصة التمثيلية أسلوبًا من أساليب التوضيح والبيان، اتخذه النبي ﷺ لمعالجة الكثير من الموضوعات الدينية والاجتماعية والعلمية والتعليمية وغيرها من المواضيع المختلفة، التي تستدعي تجسيدها في قالب قصصي محسوس؛ بهدف تجلية المعنى وتوضيح الفكرة وتأكيد مفهومها في النفوس، وهذا القالب يبدأ فيه النبي ﷺ "بطرح الفكرة أو القضية في مطلع كل قصة، ثم يتبعها بالقصة في تفصيلها وأحداثها، فتأتي القصة تمثيلاً تطبيقيًا حيًا"(٣)، ومن المواضيع التي تحدثت عنها القصة النبوية التمثيلية: الدعوة إلى الله، والحث على الخير والترغيب فيه والترهيب من الشر والتحذير منه، والحديث عن القيم الاجتماعية، وبيان قيمة العلم والعلماء وغيرها.

(١) صابر عبد الدايم، الحديث النبوي رؤية فنية جمالية ص/٨٧.
(٢) محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية ص/١٨٢.
(٣) القصص في الحديث النبوي ص/٣٤٦.

إن المتأمل في كلام العرب يلحظ غلبة التشبيهات والتمثيل والاستعارات والكنايات، وهذا من طبيعة كلام العرب، فقد عرف عنهم ذلك كما قال المبرد: "التشبيه جار في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يبعد"(١)، وأبو هلال العسكري: "التشبيه يزيد المعنى وضوحًا، ويكسبه تأكيدًا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد عنه"(٢)، وما ذلك إلا لغرض إيضاح الأفكار وإبراز المعاني وتقريرها، وقد جاءت القصة التمثيلية في الحديث النبوي لغاية التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المعنى وتصويره بصورة المحسوس، ولغرض الحجاج والإقناع، وذلك بفضل اعتمادها على التقديم الحسي للصورة الذهنية، فهو فن بلاغي "يرد في الأغلب لإثراء الفكر وتوضيحها وإيصال المعنى إلى المتلقين بنقلها من التجريد إلى الملموس، وذلك باستعمال التصوير التشبيهي كونه يقع في مقدمة الأساليب البليغة بل هو أظهرها وأكثرها استعمالًا في كل عصر من العصور"(٣).

وما كان لأحاديثه ﷺ النبوية البليغة الاستغناء عن فن التمثيل بالقصة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، حيث امتلأت بهذا اللون من الفن البديع الذي يعد أسلوبًا من أساليب التربية يحث النفوس على فعل الخير، ويحضها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة، ويمنعها عن المعصية والإثم، وهو في الوقت نفسه يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لا سيما أنه في ذاته "أسلوب بياني، يعبر عن خلجات النفس، وكوامن الحس، ويبرز المعقول في صورة محسة، ويكشف عن الحقائق التي يدق فهمها، ويعرض الغائب في معرض الحاضر"(٤).

وجدير بالذكر في هذا المقام بيان الأشكال البلاغية والأنماط التي وردت بها القصص التمثيلية في الأحاديث النبوية، حيث تجلت في نمط الأمثال القصصية الظاهرة الصريحة التي يصرح فيها بلفظ (مَثل) أو ما يدل على التشبيه، وهي عبارة عن سرد

(١) أبو العباس محمد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ٩٩٦/٢.
(٢) أبو هلال الحسن العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، ص/٢٦٥.
(٣) بدوي طبانه، البيان العربي ص/٥٨.
(٤) قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل ص/٣.

وصفي أو قصصي أو صورة بيانية؛ لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل، ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، وفيه نوع من الإطناب، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير(١).

وهذا النمط يكثر استعماله في أمثلة الحديث النبوي، إذ يقول الرسول ﷺ في مطلع كل قصة منها وهو يطرح الفكرة الذهنية (مثل كذا كمثل كذا...) دلالة على أنه ينشئ هذه القصص ابتداءً ليعرض من خلالها الفكرة في صورة مجسمة، ومجيء هذا التمثيل في الوقت الذي يجسم الفكرة بواقع عملي نستطيع تصوره وإدراكه من خلال حركة القصة؛ يمكن أن يضيف إلى إحساسنا الذهني إحساسًا شعوريًا يتغلغل في نفوسنا من جراء جو القصة وما توحي به مواقفها من عواطف وانفعالات(٢).

ويلحظ بناء المعنى في أكثر الأحاديث القصصية التمثيلية بصيغ أسلوبية متشابهة تظهر واضحة في تمثيله ﷺ، وهي كالآتي:

-دخول لفظ (مثل) على المشبه والمشبه به، كقوله ﷺ: **"مَثَلُ الْمُنافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العائِرَةِ بيْنَ الغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إلى هذِه مَرَّةً، وإلَى هذِه مَرَّةً"**(٣).

-دخول لفظ (مثل) على المشبه فقط، ودخول (الكاف) على المشبه به، كقوله ﷺ: **"ما لي وللدُّنيا؟ ما أنا والدُّنيا؟ إنَّما مَثلي ومَثلُ الدُّنيا كراكِبٍ ظَلَّ تحتَ شَجرةٍ، ثُمَّ راح وتركَها"**(٤).

-دخول لفظ (مثل) على المشبه به فقط كقوله ﷺ: **"ترَى المُؤْمِنِينَ في تَراحُمِهِمْ وتَوادِّهِمْ وتَعاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَداعَى له سائِرُ جَسَدِهِ بالسَّهَرِ والحُمَّى"**(٥).

-دخول (الكاف) على (مَثل) الداخلة على المشبه به كقوله ﷺ: **"إنَّما مَثَلِي**

(١) ينظر: الأمثال في القرآن الكريم ص/٢٠.

(٢) ينظر: محمد العلواني، الأمثال في الحديث النبوي الشريف ص/٣٥.

(٣) رواه مسلم (رقم الحديث: ٢٧٤٨).

(٤) مسند أحمد (رقم الحديث: ٣٧٠٩).

(٥) رواه البخاري (رقم الحديث: ٦٠١١).

ومَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا، فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الفَراشُ وهذِه الدَّوابُّ الَّتِي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها، فأنا آخُذُ بحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وهُمْ يَقْتَحِمُونَ فيها"(١).

ويلحظ في هذه الأمثلة أن المشبه يأتي مبهمًا لا يتضح في الكلام، فتأتي صورة المشبه به لتوضيحه، وهذا النوع يأتي التمثيل به بـ(مَثل) في الأكثر وتكون صورة (المشبه به) قصة تحكى.

ومن ذلك يلحظ عناية النبي ﷺ بالأمثال النبوية في كثرة إيرادها وتنوع نماذجها واستعمالاتها، وهذا فيه دلالة على إدراك النبي ﷺ لأهميتها، وحرصه على تحقيق وتبيين سبل الهداية والطريق المستقيم للمؤمنين.

(١) رواه البخاري (رقم الحديث: ٦٤٨٣).

المبحث الثاني: البعد الجمالي في القصة التمثيلية

تعد القصة التمثيلية النبوية منبرًا من المنابر التي اعتمد عليها الرسول ﷺ في نشر الدعوة الإسلامية، وفن القصة يلعب دورًا كبيرًا في تحفيز العقول للتفكر والتأمل، والترغيب في الخير والترهيب من الشر، كما يحمل بين جنباته العناصر القصصية التي تضم أساليب التشويق وشد الانتباه، لاسيما إذا اجتمع معها المثل، والحديث النبوي الشريف تزخم جنباته بنماذج من القصص التمثيلية، كان لبعضها نصيب من التناول والاستقراء والتحليل البلاغي في مباحث هذه الدراسة، لبيانها والكشف عن جمالياتها، كما هو آت.

١- حديث السفينة:

عن النعمان بن بشير ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "مَثَلُ القائِمِ علَى حُدُودِ اللَّهِ والواقِعِ فيها، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا علَى سَفِينَةٍ، فأصابَ بَعْضُهُمْ أعْلاها وبَعْضُهُمْ أسْفَلَها، فَكانَ الَّذِينَ في أسْفَلِها إذا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا علَى مَن فَوْقَهُمْ، فقالوا: لو أنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولَمْ نُؤْذِ مَن فَوْقَنا، فإنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وإنْ أخَذُوا علَى أيْدِيهِمْ نَجَوْا، ونَجَوْا جَمِيعًا"(١).

يُبْرِز الحديث الشريف بلاغة النبي ﷺ في ضرب المثل باستعمال الأسلوب القصصي المنبي من جمل اسمية في قالب قصة تمثيلية قائمة على تشبيه تمثيلي جاء وجه الشبه فيه منتزع من متعدد، حيث شُبِّه حال المجتمع المسلم الذي يكثر فيه الفساد وترتكب فيه المعاصي، وليس فيه إنكار للمنكر من القائمين على حدود الله والمدافعين عنها تجاه العصاة الواقعين، شبه ذلك بحال قوم شركاء في سفينة تنازعوها فاستهموا على قسمتها، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فأراد من في أسفلها خرقها تيسيرًا للحصول على الماء، ولم يجدوا بأسًا من ذلك على اعتبار أنهم يتصرفون في قسمتهم، فإن منعهم من هم في الأعلى من خرق السفينة وبينوا لهم خطورة الأمر نجوا جميعًا، وإن

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٢٤٩٣).

تركوهم دون نصح هلكوا جميعًا.

فهذا التصوير في القصة التمثيلية يبين مدى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الأمة لن يصلح أمرها ويبقى أمنها إلا إذا أخذ المصلحين القائمين على حدود الله بأيدي العابثين الواقعين في المعاصي، وقدموا لهم النصح والتوجيه حتى يأتمروا بالمعروف وينتهوا عن المنكر، "وتدل هذه الصورة العظيمة على أن الحرية الفردية ليست مطلقة، بل هي محدودة بمصلحة الأمة، فليس المرء حرًا في أن يصنع ما يشاء من المعاصي، لأن ذلك سيعرض كيان الأمة إلى الهدم والانهيار، كما تدل على أن فائدة الإنكار إنما تتحقق إذا كانت قبل استفحال المعاصي"(١).

والمشبه في الحديث الشريف هو: (القائم على حدود الله والواقع فيها)، والمشبه به: (قوم استهموا على سفينة)، وأداة التشبيه: (الكاف، ومثل)، ووجه الشبه: منتزع من أمور متعددة فهو إما النجاة للكل: الأمرين بالمعروف في المشبه وأصحاب السفينة في المشبه به، وإما الهلاك للكل: الذين لم يأمروا بالمعروف والمذنبين، وركاب السفينة، والغرض من التشبيه: الحث على التناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويدل التشبيه على أن المسؤولية المجتمعية واجبة على كل فرد مسلم، وقد حث الحديث الشريف على التخلق بها لأهميتها، "فالنبي مثّل مآل المجتمع حين يعي مقتضيات الحياة الاجتماعية المشتركة، فيقوم بواجب المسؤولية وتشيع فيه صفات الخيرية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، أو يجهل هذه المقتضيات أو يهملها فلا يفكر أفراده إلا بما يتراءى لهم من مصالح شخصية، وتشيع فيهم صفات الجهل والتسيب والأنانية، بحال ركاب السفينة حين يكونون على وعي بأسباب السلامة وأسباب الهلاك، فيضطلعون بواجب الحفاظ على سلامة السفينة بمنع الإفساد في أي جزء من أجزائها، ويأخذون على يد المفسد أيًا تكن نيته وحجته في إقدامه على خطأ بيّن وخيم العاقبة، أو يهمل الأخذ بأسباب السلامة جهلاً أو غفلة أو خشية من المفسد أو تقاعسًا عن

(١) محمد الصباغ، التصوير الفني في الحديث النبوي ص/٤٢٨.

الواجب"[1].

وتتجلى جماليات التشبيه التمثيلي في الحديث الشريف في قدرته على تحقيق التفاعل النفسي والوجداني لكل قارئ على مدى العصور والأزمنة، حيث وظف النبي ﷺ في الحديث الشريف عدة عناصر ساهمت في جمالية الحديث وبلاغته وقوة أثره وتأثيره وهي:

-بلاغة التوظيف في القصة التمثيلية، بإيراد التشبيه التمثيلي في قالب قصصي مشوق، ساهم في تقريب المعنى المراد من التمثيل الجامع بين شيئين متباعدين، فنقل (المشبه) المعنى العقلي المجرد إلى (المشبه به) المعنى المحسوس الظاهر.

-لمحة المصداقية الفنية والموضوعية في نقل التجربة القصصية الوجدانية، المؤثرة على المشاعر الإيجابية في تحريكها وتوجيهها نحو التطلع لمجتمع مسلم آمن قائم على حدود الله.

-براعة الاستهلال في الحديث النبوي باللفظ (مثل) الدال على التشبيه التمثيلي، ثم تلاه استهلال بالمقابلة اللفظية والمعنوية بين فريقين من البشر (القائم على حدود الله، والواقع فيها) فهيأ هذا الاستهلال الذهن لاستقبال فحوى الحديث وفكرته، وجاءت الخاتمة أيضًا بمقابلة أخرى تتجلى فيها بلاغة الحديث في الاتفاق ما بين مطلع القصة وختامها، في قوله: (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا) وهذه المقابلة جعلت الفريقين في مواجهة حاسمة وأبرزت الفارق الكبير بينهما، وقد صور التشبيه التمثيلي هذه المفارقة بصورة دقيقة جامعة مانعة، بوضعهم جميعًا في مركب واحد يواجهون به مصير واحد إن لم يأمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر.

-بلاغة التضاد في استعمال فن المقابلة أظهرت التقابل الدلالي بين الفريقين وأن لا قاسم مشترك بينهما إلا ما تستدعيه المصلحة العامة التي تحثهم على الاتفاق رغم الفرق الشاسع بينهما، فهناك فريق في (أعلاها) وفريق في (أسفلها) فالعلو عنوان للرفعة والسمو، والأسفل مثال للدونية والسفالة، فالفئة السفلى هي من أسند إليها إرادة خرق السفينة لغرض (الاستقاء) مع أنه بإمكانهم الاستقاء بطريقة آمنة تحقق السلامة للجميع،

(١) عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة ص/١٧٤.

ولكن هذا التصرف ناتج عما اتصفوا به من صفات دونية، كما في الحديث: (فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذ من فوقنا)، وفي المقابل كانت الفئة العليا تمثل الطرف المفكر العاقل، الذي لا بد أن يقوم بدوره في النصح والتوجيه والإرشاد والأخذ بيد من هم في الأسفل ولا يغفلوا عنهم، حتى تتحقق السلامة والنجاة للجميع.

–بلاغة استعمال فن الكناية البياني في جمل الحديث الشريف فجملة: (القائم على حدود الله) كناية عن موصوف وهو المسلم المؤمن بالرسالة المحمدية، العاقل الذي يحسن التصرف، وجاء حرف الجر (على) وهو من حروف المعاني محملًا بمعنى العلو الدال على أن القائم في مكان عال يقف على حراسة حدود الله وعدم تجاوزها، أما جملة: (والواقع فيها) فهي أيضًا كناية عن موصوف مناقض للأول، وهو المتجاوز لحدود الله والساقط في المعاصي، الذي يقع فيها ولا يأبه لمصلحة الأمة، وساهمت (في) الظرفية في تأدية المعنى وتصويره في الواقع فهو منغمس في الشهوات والمنكرات، ولا يخفى بلاغة استعمال هذين الحرفين (على، وفي) ومناسبتهما للمعنى، وما بينهما من تضاد ساهم في خدمة المعنى وجمال التشبيه.

–الدقة في انتقاء الألفاظ ووضعها في الموضع المناسب والمطابق للمعنى المراد، حيث جاءت لفظة (استهموا) مطابقة للمقام وحال الناس، فهم في حالة من النزاع بحاجة إلى حل فكان الاستهام والاقتراع هو الحل الأنسب، ومن بلاغة استعمال لفظة (استهموا) مجيئها كناية عن صفة التسليم بالرضا، فبمجرد الاستهام تم قبول النتيجة بدون تذمر وجدال، ومن بلاغة ذكر الاستهام دلالته "على أن موضع القوم في السفينة إنما جاء وفق الحق والعدل، ففي عرف الشرع أن القرعة عند الاحتياج إليها وسيلة من وسائل إقامة الحق وإشاعة العدل، وعليه فليس لأهل السفل أن يظهروا امتعاضهم من كون نصيبهم قد جاء في أسفل السفينة، فكأن الحديث يشير إلى أن اقتسام الحظوظ في هذه الدنيا إنما هو بعدل الله وحكمته، ....ثم إن كون الوضع في السفينة بدأ بالقسمة العادلة ثم طرأت محاولة الإفساد عليه يخدم قضية إيمانية أخرى؛ وهي أن الأصل

في البشرية كان التوحيد والصلاح، وأن الشرك والفساد طارئان عليها"[1].

-بلاغة الوعاء القصصي في احتوائه لفن التشبيه التمثيلي بأركانه البلاغية، مع تميز عناصر القصة وظهورها بصورة متكاملة، فهناك البداية بالمثل وجاء الحدث محبوكًا بدقة متناهية، وكان لظرفي المكان والزمان حضور وأثر في أحداث القصة، كما جاء عنصر الأشخاص بدون تحديد أسماء لعدم جدواها في مقام الحبك القصصي في الحديث، حيث أشير إليهم بقوله: (بعضهم) لما تحمله من دلالة عامة، وبرزت خاتمة القصة التمثيلية بإيراد الحل الممكن لوضع حد لهذا التأزم القصصي الذي يتطلب حلًا ممكنًا تجلى في قوله: (فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعًا) بأسلوب الشرط الدال على اقتران النتيجة والحل بالفعل المقدم، فإما الهلاك وإما النجاة.

-تجلي بلاغة جواب الشرط عن المصير المحتوم لكل فريق (هلكوا، ونجوا) في استعمال فن الطباق بينهما، وفي إيرادهما بصيغة الفعل الماضي لإفادة أن النتيجة حتمية ومتحققة الوقوع، ولا تخفى بلاغة التكرار للفعل (نجوا) العائد على الفريقين، وجاءت (جميعًا) كتكرار معنوي مؤكد للنجاة، كونها المصير المطلوب.

وخلاصة القول والحال تتجلى في بلاغة الحديث الشريف السهل الممتنع، وفي تلخيص النبي ﷺ لحال المجتمع بهذا التمثيل النبوي البليغ المنطوي على أسرار بلاغية كالإيجاز مع وفرة الدلالة، ومتعة عنصر التشويق ببناء التمثيل على منهج القصة واستيفاء التمثيل لجوانب كثيرة من مظاهر الحياة البشرية.

٢- حديث الذي استوقد نارًا

عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع الرسول ﷺ يقول: "إِنَّمَا مَثَلِي ومَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نارًا، فَلَمَّا أضاءَتْ ما حَوْلَهُ جَعَلَ الفَراشُ وهذِه الدَّوابُّ الَّتِي تَقَعُ في النَّارِ يَقَعْنَ فيها، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فيها، فأنا آخُذُ بحُجَزِكُمْ عَنِ

(١) عبد الآخر الغنيمي، الفوائد المنتقاة ص/٤٢-٤٣.

النَّارِ، وهُمْ يَقْتَحِمُونَ فيها"(١).

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف شدة حرصه على أمته ورحمته بهم، وشدة حرص الشيطان على إغوائهم وفتنته لهم، مشيرًا إلى الغاية التي من أجلها أرسل لأمته؛ وهي الأخذ بأيديهم إلى الجنة ونجاتهم من النار، فيضرب لحاله معهم مثلًا ولحالهم مثلًا، يجسد هذا المعنى من خلال صورة تمثيلية شبه فيها نفسه ﷺ في دعوته لأمته ورسالته المحمدية التي أضاءت الكون بأكمله، بحال رجل استوقد نارًا فأضاءت تلك النار ما حولها، كما شبه إعراض الناس عن اتباعه وعدم الاهتداء بهديه وانكبابهم على الشهوات والمعاصي ومنعه لهم عن فعل ذلك بأخذه لهم بالإمساك بحجزهم عن النار، بالفراش والدواب التي تقع في النار وتغلب المستوقد في دفعه لها باقتحامها النيران، وذلك باستعمال أدوات التشبيه (مثلي، ومثل، وكمثل)، ووجه الشبه الجامع بين الطرفين: صفة منتزعة من أمور متعددة تتلخص في إتباع الهوى وضعف التمييز، وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه، فيبين الرسول ﷺ شدة حرصه على المؤمنين ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم له، ويصور ذلك في هيئة متخيلة حية يمكن تصورها.

ومن خلال ضرب المثل في قالب قصصي يتبين ما للصورة التمثيلية في الحديث الشريف من دور فعال في الكشف عن المعنى المراد وإيضاحه للمخاطب؛ حيث ظهر المعنى المعقول المراد بوضوح من خلال تلك الصورة المحسوسة الماثلة للعيان، فجميع عناصر الصورة التمثيلية من المشبه والمشبه به يوحي بعضها بتلك الصورة الحية الموحية بالحقيقة المراد إيصالها للمخاطب، من تشبيه المخالفين بالفراش، وتمثيل تساقطهم في المعاصي واتباع الشهوات المؤدية للسقوط في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك، وحرص النبي ﷺ على منعهم من السقوط.

وتتجلى جماليات القصة التمثيلية في الحديث الشريف في قوة أثر وتأثير الخطاب الدعوي، وقوة بلاغته في كونه موجه للأمة جميعها مع صلاحه لكل زمان ومكان، كما يزهو الحديث الشريف بتوظيف عدة عناصر ساهمت في إبراز الجوانب الجمالية فيه

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٦٤٨٣).

ومنها:

-اهتمام النبي ﷺ بالناحية الشعورية لدى المتلقي، بإيراد الصور التمثيلية التي تقرب المعنى المجرد وتحوله لصورة حسية مدركة قابلة للعيان.

-براعة الاستهلال في الحديث الشريف باستعمال أسلوب القصر (إنما) الذي أفاد قصر المشبه على المشبه به، مما يؤدي لتوكيد المعاني وزيادة قوة تدفقها، وهذا مما يتناسب مع السياق ومقتضى الحال، التي تصور أفعال متلاحقة من الأخذ والمنع والمدافعة والاقتحام.

-براعة استعمال فن التفصيل بعد الإجمال والإيضاح بعد الإبهام، حيث جاء الكلام في بداية الحديث الشريف مجملًا ثم فصّل، وجاء التفصيل معطوفًا على بعضه بحرف العطف (الفاء) ليشعر بترتيب الأحداث وتعاقبها بدون تراخ: (فلما أضاءت)، (فجعل ينزعهن)، (فيقتحمن فيها)، (فأنا آخذ).

-بلاغة مجيء التمثيل بأسلوب اللف والنشر المرتب، وهو ما يسمى بالتشبيه الملفوف، حيث ذكرت المشبهات أولًا (مثلي ومثل الناس) ثم جاءت المشبهات ثانيًا (كمثل رجل استوقد نارًا، الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها)، فهو تشبيه ملفوف من حيث التعدد، ومن حيث ذكر المشبهات أولًا ثم المشبهات به.

-بلاغة تكرار أدوات التشبيه (مثلي، ومثل، وكمثل) وتلاحقها، مما أدى إلى صنع نوع من الإيقاع الموسيقي، ساعد على تمثيل الصور المطروحة وتخيلها بصورة حية، وعلى تقريب الأطراف المتشابهة بعضها من بعض، وعقد مقارنة بين طرفي التشبيه لإدراك أبعاد الصورة.

-بلاغة دلالة العموم في قوله: (مثل الناس) على شمولية رسالته لجميع البشر وعدم اقتصارها على أمته، وفيه دلالة على أن الرسالة المحمدية صالحة لكل زمان ومكان.

-بلاغة اختيار لفظة (استوقد) دون (أوقد) فكل زيادة في المبنى تدل على زيادة في المعنى، إذ أن الاستيقاد في الحديث الشريف لم يكن إلا لأمر عظيم وهو إخراج الناس من ظلمات الضلال إلى نور الهداية.

-الدقة في انتقاء الألفاظ والمفردات الدالة على المعنى ببلاغة وإتقان، وذلك في

عدة مواضع من الحديث الشريف، منها اختيار الفعل (أضاءت) دون اشتعلت، لما في الضياء والإضاءة دلالة على فرط الإنارة وقوتها، وفي هذا تناسب مع معنى السياق فالرسالة المحمدية جاءت وأضاءت العالم بنورها الذي كان فيه الناس قبل مجيئها يتخبطون في عالم الظلمات والضلال، فلفظة الإضاءة ناسبت المقام لما فيها من إيحاء بنور النبوة وضياء الشريعة.

–دقة التعبير النبوي في تخصيص ذكر الدواب في قوله ﷺ: (جعل الفراش وهذه الدواب) دلالة على تحقير شأنها، فالفراش لا تسمى دواب إلا لبيان جهلها، كما أن فيها تعريض لطالب الدنيا المتهالك فيها، "والتعبير بـ(الفراش والدواب) يتناسب مع قوله ﷺ: (تقحمون فيها)؛ لأن التقحم: هو الإقدام والوقوع في الأمور الشاقة من غير تثبت وتعقل، ولا يخفى سر انتقاء (الفراش) في الحديث للعصاة والمعرضين عن منهج الله ﷻ؛ وذلك لدلالة الفراش على الضعف والوهن وسرعة سقوطها في النيران وعدم التحمل، فضلًا عن أن التعبير بالفراش له إيحاءات في كلام العرب فهم يتمثلون بها في الحمق والخفة؛ لأنها تطرح نفسها في النار، فكذلك العصاة بطيشهم وخفة عقولهم وحماقتهم يلقون بأنفسهم في النيران" (١).

–التوظيف البلاغي للفعل المضارع في قوله: (فيقتحمن فيها)، (وهم يقتحمون فيها) حيث دل الفعل بصيغته المضارعة على أن الهداية بيد الله ﷻ يؤتيها من يشاء، كما عبر عن معنى التجدد والاستمرار مما يدل على استمرارية الصراع بين الخير والشر وبين الهدى والضلال، كما أوحى بمدى سرعة تهافت الجهلاء في معاصيهم وإصرارهم على غيهم وضلالهم واستمرارهم فيه.

–ومن المواضع التي برز فيها استعمال الأفعال المضارعة قوله: (يقعن، ينزعنهن، يغلبنه) الدالة على الاستمرارية، والباعثة على استحضار الموقف، والموحية بروح الحركات المتلاحقة في النص.

–بلاغة استعمال صيغ الأفعال كما في صيغة اسم الفاعل (آخذ) في قوله: (آخذ

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٦/٣٣٦.

بحجزكم)، الدالة على الفاعلية والاستمرارية الوعظية للنبي ﷺ في زمانه وفترة حياته والفترة التي ستبقى فيها هذه الرسالة المحمدية.

-من مظاهر جماليات التمثيل القصصي في الحديث الشريف بروز فن الاستعارة في قوله: (فأنا آخذ بحجزكم)، التي مثلت حال النبي ﷺ في حمايته ومنعه لأمته من الهلاك بحال رجل آخذ بحجزة صاحبه الذى أوشك أن يهوي في قعر بئر مهلكة.

-بروز بلاغة فن الالتفات في التفات الخطاب من ضمير الغيبة في قوله: (مثل الناس) وضمير الغائب في قوله: (ينزعهن) و(يغلبنه)، إلى ضمير الخطاب في قوله: (بحجزكم)، وجاء الالتفات في الحديث الشريف لغرض التخويف والتهديد والوعيد لمرتكبي المعاصي، والتشديد في الطلب عليهم بتركها ومنعهم من الوقوع فيها.

-بلاغة دقة التصوير في تخيل هذه الصورة المكتملة الجوانب بمشاهدها النابضة بالأفعال والحركات السريعة، وتصوير الصراع ومغالبة النفس بين طريق الهدى واتباع الهوى، يقابلها صورة أخرى يدفع بعضها إلى الخير المنجي والآخر إلى الشر المهلك، وما تصوره من ردود الأفعال المتلاحقة، فتنتقل هذه الصورة إلى واقع الإنسان المعاش وصراعه مع نفسه ومدافعة شهواته ورغباته، وهذا التخيل "لا يبتعد كثيرًا عن حقيقة أن الذنوب والكبائر أسباب موصلة للنار، إنها الضوء الكاذب المخادع بصفة إبليس عدو البشر على حافة النار ليحرقهم فيها، أليست قلوبنا تتأثر من حين لآخر بالزاجر الرادع يكفنا ويجذبنا؟ ذلك الآخذ بالحجز، فيغلب الشيطان بخداعه فتغلب المعصية، وذلك الاقتحام في النار"[1].

إن التمثيل القصصي المؤثر بنظمه البياني والبنائي في نفوس المتلقين، يعد من أبرز جماليات الحديث النبوي الشريف، فالمثل الوارد في القصة النبوية قد أوجز فأبلغ، لما يحمله من معانٍ كثيرة فهو "مثل كثير المعاني، المقصود به: أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، فالفراش يقتحم

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص/١٥٦.

النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء"(١).

٣– حديث النذير العريان

عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إنَّما مَثَلِي وَمَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقالَ: يا قَوْمِ، إنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وإنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ، فأطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِن قَوْمِهِ، فأدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا علَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ منهمْ، فأصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فأهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذلكَ مَثَلُ مَن أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَن عَصَانِي وَكَذَّبَ بِما جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ"(٢).

يقص النبي ﷺ في الحديث الشريف قصة بعثته بالرسالة المحمدية ودعوته للناس كافة، وموقف الناس من تلقي رسالته واتباعه، لاسيما وأن بعثته في وقت كانت فيه البشرية غارقة في الشرك والإلحاد، فكان لرسالته قدر بالغ من الأهمية لإنقاذ المشركين من العذاب والهلاك.

وقد استعمل النبي ﷺ فن التشبيه التمثيلي في قالب قصصي صور فيه انقسام الناس حيال قبول دعوته ورفضها، وما ذلك إلا لأهمية أمر رسالته ومكانتها العظيمة، والصورة التمثيلية في الحديث الشريف ذات طرفين الطرف الأول: شبه فيه النبي ﷺ نفسه الشريفة وبعثته السماوية بصورة يعرفها الناس من واقعهم، فمثّل لحاله في دعوته ورسالته واتباع الناس له وعصيانهم له، ولما بعثه الله ﷻ به وأرسله، بصورة النذير العريان: "وهو الذي ينذر قومه العدو فيستعدون له، وكانت عادة النذير أن يخلع ثوبه ويشير به إلى قومه وهو عريان، إيذاناً بشدة الخطر، والنذير العريان مثل سائر يضرب لشدة الأمر ودنو المحذور وبراءة المحذر من التهمة"(٣).

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٦/٣٣٤.
(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٧٢٨٣).
(٣) محمود المشهداني، التوكيد اللفظي أسلوبًا بلاغيًا ١/٧٩.

والطرف الثاني فيه تشبيه لحال الناس في انقسامهم ما بين مصدق آمن بالنبي ﷺ ومكذب منكر له، بموقف الناس إزاء النذير العريان هل صدقوه أم كذبوه؟ فهناك طائفة صدقته وأطاعته، وأدلجوا سائرين من فورهم في أول الليل، منطلقين على مهلهم بسكينة وتأن وطمأنينة نفس؛ لأنهم أخذوا وقتهم من أوله فنجوا من العدو، والطائفة الثانية كذبت فتأخروا في الاستجابة لهذا النذير، فأتى عليهم الصبح وهم لم يسيروا من مكانهم ولم يبتعدوا عن الخطر، فصبحهم الجيش وهجم عليهم باكرًا، فأهلكهم واجتاحهم واستأصلهم.

وجاءت أداة التشبيه (كمثل) لربط الطرفين بعضهما ببعض، ووجه الشبه الجامع بين الطرفين صورة أمر أكدته الشواهد وصدقته الأدلة ففاز من صدقه وخسر من كذبه.

والمعنى المقصود من القصة التمثيلية هو دعوة الناس إلى النجاة باتباع الرسول النذير، ولزوم الاستجابة لهذه الدعوة بتصديق النذير وتجنب الخطر العظيم، وبين النبي ﷺ هذا المعنى في الحديث الشريف بطريق تمثيل المعنى المعنوي بمعنى حسي ضمانًا لتحقيق هذين المعنيين، ومن الملاحظ أن في انتقاء صورة النذير العريان إشارة لشدة الخطر؛ فهو يمثل حاله مع قومه وحال ما بعثه الله به من الهدى والعلم بحال ذلك الرجل المنذر "بحيث كأنه ﷺ نزع ثيابه لينذرهم بالإشارة بثيابه، أو هو رجل جرده العدو فهرب منهم منذرًا قومه فعلموا من تعريه صدق خبره؛ لأنهم كانوا يعرفونه ولا يتهمونه في النصيحة ولا جرت عادته بالتعري فقطعوا بصدقه لهذه القرائن، ثم صار مثلًا لكل ما يخاف مفاجأته، فضرب النبي ﷺ لنفسه ولما جاء به مثلًا بذلك؛ لما أبداه من الخوارق والمعجزات الدالة على القطع بصدقه تقريبًا لإفهام المخاطبين بما يألفونه ويعرفونه"(١).

إن الحديث الشريف ببنائه القصصي التمثيلي قد بلغ مبلغًا في القوة والبيان والإيضاح، لما يحمل بين جنباته من جوانب جمالية، تستحق الوقوف عندها وتجليتها، ومنها:

-الإيجاز البليغ والنظم البديع، مع القدرة على الإقناع والإحاطة بأقطار النفوس،

(١) تأصيل البلاغة ص/١٨٢.

من خلال التصوير الدقيق لإخراج النبي ﷺ الناس من ظلمات الجاهلية والكفر إلى نور الإيمان والهدى.

–بلاغة التشبيه بذكر صورة النذير العريان الدالة على قرب الخطر، وهذه الصورة مستمدة من الأمثال السائرة عند العرب.

–دقة البلاغة النبوية في انتقاء اللفظة المفردة الدالة على المعنى المراد، والتي اكتملت بها جمال الصورة التمثيلية، ففي قوله: (النجاء.. فأدلجوا.. مهلهم.. فنجوا) تمثيل وتجسيد للمعنى المجرد بصورة حسية حركية، فيه تصوير لنجاة من آمن به من العدو بسيرهم في هدأة الليل على مهل.

–بلاغة الدقة في اختيار الظرف الزماني: (في الصباح)، فالنذير قد جاءهم في اليوم الذى قبل يوم هلاكهم، ثم صبحهم الجيش واجتاحهم، وذلك مثل دعوته ﷺ وإنذاره لقومه، فإذا كان من أنكر على النذير واستهزأ بتحذيره قد صبحه الجيش وأهلكه بعد ساعات، فكذلك حال من عصى الرسول ﷺ وكذب بدعوته، فإن هلاكه قريب بدنو أجله، وبهذا التمثيل يتبين ثواب من أطاع النبي ﷺ وصدق برسالته واهتدى بهديه، وعقاب من عصاه وكذب به وضل عن طريقه.

–بلاغة الجمل الأسمية وما تحمله بين جنباتها من أدوات القصر والنداء والتأكيدات، ففي خطاب المنذر لقومه: (إنما مثلي) و(أنا النذير) قصر للصفة على الموصوف، تفيد الاختصاص، وقوله: (يا قوم إني رأيت الجيش بعيني) جاء النداء قبل المثل لإرادة لفت الانتباه إلى ما سيتم قوله، وجاء تأكيد أمر الرؤية بتقديم المسند إليه (إني) وما يحمله من تأكيد ساهم في تقوية المعنى، ويظهر في قوله: (بعيني) التأكيد على تحقق الأمر، إذ أن الرؤية لا تكون إلا بالعين، ولكن هذا التعبير له دلالته بقطع كل احتمال وتحقق جميع ما أخبر به تحقق من رأى الشيء بعينيه لا يعتريه وهم ولا يخالطه شك.

–بلاغة استعمال فن المقابلة في قوله: (فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم، فنجوا) يقابلها قوله: (وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم) بمقابلة ثلاثة بثلاثة، وكذلك مقابلة اثنين باثنين في قوله: (من أطاعني، فاتبع ما جئت به) يقابلها قوله: (من عصاني، وكذب ما جئت به)، وهذا التقابل المعنوي

والدلالي زاد من جمال الأسلوب ووضوحه، وله أثره في تحسين جودة المعنى، وإثارة الانتباه إلى الفكرة المطروحة، وإيقاظ الشعور إلى الموازنة بين الشيء وضده.

-بلاغة التكرار والحذف في قوله: (النجاء، النجاء) بمعنى اطلبوا النجاء، وهي جملة تقال عند حدوث الأمر الجلل، وجاءت مكررة بحذف الفعل لما يقتضيه الموقف من سرعة وحاجة ملحة لطلب تحقق أمر النجاة، فالحذف هنا فيه إشارة بليغة لكون النجاة هي المطلب الأسمى، فلذلك جاءت مكررة لغرض تأكيد أهميتها.

٤- حديث العلم والهدى

عَنْ أَبِي مُوْسَى ﷺ عَنِ النّبِي ﷺ قَال: "مَثَلُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به مِنَ الهُدَى والعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ، فأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بها النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَقَوْا وزَرَعُوا، وأَصابَتْ مِنْها طائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذلكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ"(١).

استعمل النبي ﷺ في الحديث الشريف فن القصة التمثيلية في مقام بيان أهمية العلم وفضل العلماء، بإيراد تشبيهين بليغين في قوله: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا)، فالتشبيه الأول: تشبيه الهدى والعلم الذي بُعِث به الرسول بالغيث، بجامع أن كلًا منهما تحصل به النفع والفائدة والإغاثة، فالعلم والهدى تحيا به القلوب والأرواح، والمطر تحيا به الأرض، أما التشبيه الثاني: تشبيه القلوب بالأراضي، بجامع أن كلًا منهما مكان لقبول الفائدة والنفع، فالهدى والعلم يقع في القلوب، والمطر يقع على الأرض، فكما أن الأرض تزهو وتحيا بالزرع؛ فالقلوب تحيا وتزكى بالعلم.

ثم قسّم النبي ﷺ الناس إلى ثلاثة أقسام بحسب قبولهم للعلم والهدى واستعدادهم

(١) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٧٩).

لحفظه وفهم معانيه[١]، القسم الأول في قوله: (فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير)، وهم من جمعوا بين فضيلتي الحفظ للشريعة الإسلامية، والفهم فيها، والقسم الثاني بقوله: (وكان منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا)، وهم الذين حصلوا على فضيلة الحفظ فقط، فحفظوا العلم من القرآن الكريم والحديث الشريف، ولكنهم لم يؤتوا فهمًا لمعانيه واستنباطًا لأحكامه، ولم يتفقهوا في جمعه لكنهم أدوّه للغير، فهم بمنزلة الأرض الأجادب التي لا تشرب الماء لصلابتها ولا ينبت فيها شيئًا، فيستقر فيها الماء وينتفع الناس بها، أما القسم الثالث ففي قوله: (وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ)، وهؤلاء هم الذين لم يعطوا الحفظ ولا الفهم أيضًا، فهم يسمعون العلم ولكن لا يحفظونه ولا يعملون به ولا ينقلونه لغيرهم، فهم بمنزلة الأرض القيعان السبخة أو الملساء التي لا تنبت ولا تمسك الماء.

وقد تضافرت الفنون البلاغية والجوانب الجمالية في سياق الحديث الشريف، ويحسن ذكر بعض منها فيما هو آت:

–بلاغة النظم في حُسْن تعليم الرسول ﷺ لأمته في ضربه الأمثال المؤثرة، وإتيانه بالمعاني المعقولة بصورة أشياء محسوسة لأن إدراك المحسوس أقرب من إدراك المعقول، "فالوسيلة الجمالية التي اتكأ عليها النص في بيان الفكرة هي التجسيم، أي: نقل المعنى العقلي المجرد إلى عالم الحس، ولم يقم التجسيم في الحديث هنا على علم البيان فقط، بل إن الكلام الحرفي صار مصوِّرًا في هذا السياق، فقد اعتمد التشبيه، وكانت البداية بعبارة: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث)، وصيغة: (مثل....كمثل) بوابة رائعة ندخل منها إلى لوحة فنية حافلة بالألوان والحركات، تقدم لنا المشهد العام الذي يجسِّم افتقار الإنسانية إلى الإسلام بافتقار الأرض القاحلة إلى الغيث، وقد جاء الغيث"[٢].

(١) ينظر: موسى لاشين، فتح المنعم: ١/٢٧٧.

(٢) نور الدين زعتر، في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي ص/٢٧.

-حسن التوظيف للعناصر البيئية حيث اشتمل التشبيه التمثيلي على ألفاظ مستمدة من البيئة المحيطة لتقريب المعنى للمخاطبين، كـ(الغيث، والماء، والكلأ، والعشب، والأجادب، والقيعان)، فجاءت هذه الألفاظ قريبة من أذهان السامعين، متناسبة مع المعنى المراد.

-بلاغة التعبير النبوي في دقة انتقاء المفردات بإيثار لفظة (الغيث) على (المطر) المعبرة عن شدة الحاجة للعلم وأهميته؛ لأن الغيث إذا كان يحيي الأراضي ويغيثها من الموت، فإن العلم يحيي القلوب ويحييها من الجهل والضلال.

-ومن بلاغة التعبير ذكر الخاص بعد العام في إيراد كلمة (العشب) بعد (الكلأ) زيادة في الإيضاح والتأكيد، فالكلأ يشمل النبات الرطب واليابس، أما العشب فيطلق على الرطب فقط.

-بلاغة استعمال فن الإيضاح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال حيث ذكرت كلمة (أرضًا) مبهمة مجملة، ثم جاء بعد ذلك تفصيل لها وإيضاح لنوعها فكانت هناك الأرض النقية، والأرض الأجادب، وذات القيعان، وهذا سبيل من سبل توضيح المعنى وترسيخه في الأفهام.

-بلاغة استعمال فن الجمع والتفريق حيث جمع في المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما، فقال عنهما في حكمهما: (فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِمَ وعَلّم)، أي: علم في نفسه أولًا، ثم أبدى علمه إلى الناس فانتفعوا به في تبيين الحلال من الحرام، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها في قوله: (ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به).

-بلاغة استعمال فن الكناية في قوله: (قبلت الماء) كناية عن الحفظ، وفي قوله: (فأنبتت الكلأ والعشب) كناية عن الفهم والنفع فهو منتفع في نفسه نافع غيره، كما يتجلى فن الكناية أيضًا في قوله: (ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى اللَّه) كناية عن الإعراض أو عدم الانتفاع، حيث رسمت صورة المعرض الذي يخفض رأسه ولا يرفعه لشعوره بالذل والمهانة.

وبإمعان النظر في بلاغة الأحاديث الشريفة -محل الدراسة- يظهر اتخاذ النبي

ﷺ القصة التمثيلية كأداة مهمة لإيصال الرسالة المرادة، وتوضيح المعنى بأسلوب يستثير ذهن السامع، ويلفت انتباهه، ويجذب حواسه، ويؤثر في سلوكه ووجدانه، ويستدل من ذلك على جمال نظم البلاغة النبوية وقوة تأثيرها وجاذبيتها، فهي "تؤسس لمنظور جوهري في النظر إليها، يتحدد في أنها بلاغة حقيقية تهدف إلى التمكين للحقائق، ومن ثم كان الإيضاح والبيان منهجًا ملازمًا لهذه البلاغة تحقيقًا للغاية الإبلاغية التعليمية التربوية التي كلف بها صاحب هذه البلاغة الرسول ﷺ في أنماط أسلوبية لها خصوصيتها المتوائمة مع غايتها"(١).

٥– حديث الصلوات الخمس

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِه؟ قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِن الخَطَايَا"(٢).

ضرب النبي ﷺ المثل في هذا الحديث الشريف في مقام الحث على أداء الصلوات الخمس، والترغيب فيها، وقد بني التشبيه التمثيلي في قالب قصصي مشوق، احتوى على تشبيهين أحدهما: تشبيه للذنب والمعصية بالدرن، والآخر تشبيه للصلوات الخمس بالنهر الجاري، حيث عرض في الحديث الشريف تجسيد حي وواقعي للذنب باعتباره درنًا يلحق المذنب، لا يمحو أثره إلا الصلوات الخمس المفروضة والتي تشبه في إزالة الذنوب النهر الجاري الذي يغتسل فيه المسلم خمس مرات في اليوم والليلة، وأداة التشبيه (مثل)، ووجه الشبه متحقق وواقعي في كلا الطرفين وهو التطهر.

وهذا الحديث النبوي الشريف يزخم بالجماليات البلاغية، التي ينبغي الوقوف عندها، ومنها:

-البلاغة النبوية في تجسيد المعنى بتشبيه الدَّنَسَ المعنوي بالدنس الحسي، فكما

(١) عيد بلبع، مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص ص/٣٤.

(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ٥٢٨).

أن الاغتسال كل يوم خمس مرات يذهب الدرن، فكذلك الصلوات الخمس تذهب الذنوب.

-براعة الاستهلال في البدء باستفهام تقريري في قوله: (أرأيتم لو) لغرض شد الانتباه وتقرير المقصود والكشف عن المعنى، وتجلى غرض التقرير في استعمال الحرف (لو) "الذي يقتضي أن يدخل على الفعل وأن يجاب، لكنه وضع الاستفهام موضعه تأكيداً أو تقريراً، والتقدير: لو ثبت نهر صفته كذا لما بقي كذا"(١)، وقد كان لهذا التقرير.

-بلاغة تقديم المشبه به لغرض التشويق وشد الانتباه، وقد اقترن هذا التقديم بالاستفهام التقريري تأكيدًا لمعنى التشبيه التمثيلي في الحديث الشريف.

-دقة البلاغة النبوية في انتقاء الألفاظ، فمن المعلوم أن النبي ﷺ حين يضرب المثل غالباً ما يحرص على انتقاء المفردة المعلومة في ذهن المخاطب والمشاهدة أمام عينيه، ولكن يلحظ في اختيار لفظة (نهر) أن النهر ليس من معالم الطبيعة المشاهدة في البيئة الصحراوية؛ وهذا قد يكون رغبة في إثارة أذهان الصحابة ﷺ واستدعائها لأنهار الجنة الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف، لا سيما أن هذا الاستعمال مما يوسع المخيلة، ويوحي بمعاني الرقة والصفاء والعذوبة والعظمة، "وحسبك ما توحي به كلمة النهر النكرة من رقة وصفاء وعذوبة وعظمة، وما توحي من تحتها الأنهار، وما يخيل لنا الفعل (يغتسل) من استحضار الصورة مع التجدد والحدوث طرفي النهار وزلفًا من الليل يدل عليها العدد المحصور في اليوم، ثم يطرد هذا مع العدد صعودًا"(٢).

-إيراد صفة من صفات الله ﷻ الفعلية وهي (المحو) فالله يمحو ما يشاء ويثبت، وقد وردت هذه الصفة بصيغة الإخبار وجاء ذكرها متناسبًا مع سياق الحديث الشريف وأسلوب ضرب المثل، فالغسل يمحو الأدران وكذلك الصلوات الخمس تمحو الخطايا.

-بلاغة استعمال صيغة الفعل المضارع (يمحو) للدلالة على المحو الدائم المستمر، ومما يؤيد ذلك المعنى قوله: (كل يوم) فالصلوات الخمس تؤدى كل يوم، ومحو الله ﷻ

(١) الكاشف عن حقائق السنن: ٤/١٠١.

(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ص/١٠٥.

للذنوب دائم ومستمر للعبد المصلي، وهذا فيه بيان لسعة رحمة الله تبارك وتعالى لعباده ومغفرته لهم، وحث على المحافظة على الصلوات الخمس.

-مجيء لفظة (الخطايا) بصيغة الجمع فيه ترغيب وحث للمحافظة على أداء الصلاة، لأن فيه "إشارة إلى كثرة هذه الخطايا وتعددها، فليست هي خطيئة أو خطيئتين، وإنما هي خطايا، ومع ذلك فإن هذه الخطايا على كثرتها تُمحى وتغفر؛ بسبب المحافظة على الصلوات الخمس في وقتها، وأدائها على أكمل وجه"(١).

-بلاغة اختيار الصورة التمثيلية في ذكر (الماء)، حيث يستشف أن الرسول ﷺ استعمل جنس (الماء) في التشبيه للتأكيد والتقرير على أهمية الصلاة في حياة الفرد المسلم؛ إذ هي في أهميتها توازي أهمية الماء، فكل منهما يعد حاجة يومية وحياتية لا يمكن الاستغناء عنها.

-بلاغة التمثيل بالقصة في البدء بالاستفهام التقريري المشوق، ثم عرض الحدث بصورة التشبيه التمثيلي، وجاءت الخاتمة ببيان الغرض المنشود من ضرب المثل وهو محو الخطايا، ومن ذلك النسيج القصصي التمثيلي يتضح أهمية الحرص على الوضوء وتأدية الصلوات المفروضة، والتطهر من الذنوب والآثام.

٦- حديث البخيل والمتصدق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: "مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ؛ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلا يُنْفِقُ إِلا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا ولا تَتَّسِعُ"(٢).

يصور النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف صورتين متناقضتين للمنفق والبخيل، حيث شبههما برجلين يلبس كل منهما درعًا من حديد يقع على موضع الصدر

(١) عبد العزيز العمار، من جماليات الاستفهام في البيان النبوي ص/٣٤.

(٢) رواه البخاري: (رقم الحديث: ١٤٤٣).

والثديين، يدخل المرء يديه في كمّيها ويرسل بقيتها إلى أسفل بدنه، مما يدل على إسباغ نعمة الله ﷻ على كليهما، فصورة المنفق مثل من لبس درعًا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه كما في قوله: (حتى تخفي بنانه، وتعفو أثره)، أما صورة البخيل مثل رجل غلت يداه إلى عنقه، فإذا أراد لبس الدرع حالت يداه بينها وبين أن تمر إلى الأسفل على البدن، واجتمعت في عنقه كما في وصفه: (إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع).

إن قيام الحديث الشريف على صورتين متباعدتين صورة المنفق وصورة البخيل، يدل على تعدد صور التمثيل، فالصورة الأولى للبخيل جاء فيها المشبه العقلي: حال البخيل الممسك القابض على المال، وحال نفسه الممنوعة عن البر والخير التي أورثت قلبه الضيق وحرمت صدره من الانشراح، فأصبح كثير الهم والحزن والغم، وجاء المشبه به الحسي: رجل عليه جبة من حديد قد غلت يداه إلى عنقه، فأعجزته عن الحركة، فلم يستطع توسيع تلك الجبة التي التصقت حلقاتها بصدره، ووجه الشبه: الهيئة المكونة من ضيق الصدر وعدم الانشراح وصعوبة الحركة وعدم الحماية.

أما الصورة الأخرى للمنفق: ورد المشبه فيها بصورة عقلية وهو: حال المنفق المتصدق وحال نفسه حين التصدق وبعده وما يعتريها من انشراح الصدر وسعادة القلب، وما يناله من المغفرة والستر، وجاء المشبه به بصورة حسية تمثلت في: رجل اعتلت صدره جبة من حديد، واتسعت عليه حتى تمكن من لبسها بكل سهولة ويسر فغطت بدنه وأخفت أثره، ووجه الشبه: الهيئة المكونة من الاتساع وسهولة الحركة والحماية، والتغطية والستر.

ويستدل من الحديث الشريف أن المنفق إذا همَّ بالنفقة، انشرح صدره واتسع، وطاوعته يداه، فامتدتا بالعطاء؛ لذا فإن صدقته ونفقته تكفر ذنوبه وتمحوها، وبناء عليه فإن المنفق يستره الله ﷻ بنفقته، ويستر عوراته في الدنيا والآخرة، أما البخيل فإن صدره يضيق وتنقبض يده عن الإنفاق، كمن لبس جُبّة من حديد إلى ثدييه، فيبقى مكشوفًا ظاهر العورة مفتضحًا في الدنيا والآخرة، كما يستدل من الحديث حرص البخيل على المال وعدم الرغبة في إنفاقه، وهذا أحد عوامل محقه وهلاكه؛ إذ يزداد حرص البخيل على

المال، حتى يصل إلى درجة الشح المهلك بينما نجد الصدقة والإنفاق تزيد المال وتباركه.

ومن جوانب القصة التمثيلية الجمالية التي صورها الحديث الشريف:

-براعة الاستهلال في بدء الحديث الشريف بضرب المثل في قوله: (مثل البخيل والمنفق)، لغرض التشويق وإثارة نفوس المتلقين، وتهيئتها لتلقي المعنى، لا سيما وأن المقام في التربية والتوجيه مما يستحسن فيه ضرب الأمثال.

-اعتمد النبي ﷺ الأسلوب الخبري في الحديث الشريف، لترغيب الناس في التصدق بالمال والإنفاق، وتبغيضهم في البخل والشح بصورة تمثيلية في إطار النص القصصي الباعث على التشويق والمتعة، الذي جعل من تلك الصورة المتخيلة ماثلة أمام أعين المتلقين.

-استعمال فن المقابلة بين صورة كل من البخيل والمنفق، في تمثيل بلاغي له وقع في النفس بتفاصيله المتغلغلة في دقائق التصرف الإنساني المتناقض، حيث كشف عن الشعور النفسي الخفي لأثر الإنفاق والإمساك على النفس البشرية، فهذا التقابل والتباين يؤكد المعنى المراد ويقرره بصورة مشوقة تدعو للتفكر والتدبر.

-تجلي بلاغة الإطناب، باستعمال فن الإجمال ثم التفصيل، وفن الإيضاح بعد الإبهام، حيث أجمل الكلام في الحديث الشريف عن البخيل والمنفق بذكر صفة كل منهما بدون تفصيل، وجاء الإبهام بعد ذلك في قوله: (كمثل رجلين) بذكر أداتي التشبيه (الكاف، مثل) ثم بالتنكير في (رجلين)، إمعانًا في الإبهام لغرض التشويق ولفت الانتباه، ثم شرع بعد ذلك في التوضيح نوعًا ما بقوله: (عليهما جبتان)، وجاء بعد ذلك التفصيل بذكر حال كل فريق، حرصًا على تمكين المعنى في النفوس.

-بلاغة إيراد التشبيه التمثيلي بطريق اللف والنشر غير المرتب، ويعد من التشبيه المتعدد الملفوف، لغرض إثارة الذهن وجذب الانتباه، حيث استهل الحديث بطريق اللف بذكر البخيل ثم المنفق، وجاء التفصيل والنشر على غير ترتيب اللف بذكر المنفق أولًا ثم البخيل.

-الدقة في اصطفاء المفردات الدالة على المعنى المراد المناسب للسياق، ففي قوله: (جبتان من حديد) الجبة كناية عما أنعم الله ﷻ به على البخيل والمنفق، وفي ذكر

الحديد تقييد دل على أن الإنسان مجبول على الشدة، وعلى حب المال بفطرته.

-بلاغة التعبير بأسلوب القصر بطريق الاستثناء في قوله: (فلا ينفق إلا سبغت) بقصر الإنفاق على صفة الاسباغ قصرًا إدعائيًا لغرض التأكيد على الصلة الوثيقة بين إنفاق المنفق وإسباغ الدرع على جسده، فبمجرد حصول الإنفاق وإن كان يسيرًا فإن الدرع يتمدد ويسبغ ستره على جسد المنفق.

وكذلك في قوله: (فلا يريد أن ينفق شيئًا إلا لزقت) بقصر الإنفاق على صفة الإلزاق، لغرض تأكيد ذم البخيل وبيان حاله وهو ينازع نفسه الشحيحة التي تورث صدره الضيق، وتقبض يده عن الإنفاق.

-بلاغة التعبير بالفعل المضارع (ينفق) الذي فيه تصوير لحال المنفق في استمرار تجدد حدوث الإنفاق منه، مما ينبئ عن حرصه على معاودة الإنفاق وتعلقه به، ويؤكد حصول الأثر على المنفق من انشراح الصدر والسعة.

كما جاء الفعل المضارع (يوسعها) معبرًا عن محاولات البخيل المستمرة في اتساع الجبة عليه، ولكنها باءت بالفشل فهي تزداد إحكامًا عليه بالضيق والثقل، وجاءت خاتمة الحديث بإصدار الحكم القاطع في عدم الاتساع بقوله: (ولا تتسع) ببيان حال عدم الاتساع أبدًا.

-بلاغة نظم القصة التمثيلية في الحديث النبوي بذكر عناصر القصة من مقدمة اشتملت على عنصر التشويق بضرب المثل (مثل البخيل والمنفق)، ثم جاءت الأحداث متتالية بأساليب بلاغية متنوعة، وختمت بنهاية مغلقة تناسب صياغة ونوعًا مع سياق الحديث الشريف.

الخاتمة:

كشفت دراسة بلاغة القصة التمثيلية في الحديث النبوي الشريف عن دور القصة في الخطاب الدعوي والتأثير في النفوس والعقول، واعتبارها وسيلة من الوسائل المعتمدة في الدعوة إلى الإيمان بالله واتباع الرسالة المحمدية، كما بينت أهمية التمثيل القصصي كونه أبلغ الفنون الأدبية في الأثر والتأثير الذي استخدمه النبي ﷺ لنشر الدعوة الإسلامية إلى جانب تنمية الجانب الروحي والنفسي والتربوي والأخلاقي والديني لدى الفرد المسلم، مع الوقوف على ما تنطوي عليه الأحاديث النبوية من بلاغة وفصاحة وبيان.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج، وهي:

١-يبرز أثر القصة التمثيلية في توضيح الكلام وإبراز خبايا المعاني الكامنة وراءه؛ وتصوير المعقول في صورة المحسوس فضلًا عن إيجازه في الكلام، وقدرته الكبيرة على تحفيز الأذهان، وحثها على التفكر، ولهذا يكثر استعماله في الحديث النبوي وفي فصيح الكلام منظومه ومنثوره.

٢-يكثر فن التمثيل القصصي في مقامات النصح والإرشاد والتعليم، والتحذير من عواقب الأمور والترغيب والترهيب؛ لأنه يقوم بعقد مقارنة بين صورتين تعتمد على إثارة الذهن وتحفيز الفكر، فتقبل النفس طواعية دون تردد على اختيار أحد الطرفين.

٣-يظهر بوضوح وجلاء أن التشبيه التمثيلي الذي ورد ذكره في أحاديث القصة النبوية محل الدراسة قد جاء مطابقًا لمقتضى الحال، فضلًا عن الترابط والتناسق والتلاؤم الحاصل بين طرفي الصورة التمثيلية، فجاءت الصورة في أعلى درجات البلاغة، تطابق فيها المبنى مع المعنى في صورة أخاذة تثير الوجدان والفكر، وتحرك الشعور.

٤-تبين من خلال دراسة القصة التمثيلية في الأحاديث الشريفة حرص النبي ﷺ على إقناع المخاطبين من صحابته وأمته، بإيثاره استعمال أسلوب التمثيل في مخاطبتهم؛ لعلمه بأهمية هذا اللون البلاغي في إثارة الوجدان، ومخاطبة العقول، وتأثيره في النفوس، وذلك من خلال نقله الأمور العقلية وتصويرها في صور

حسية ماثلة أمام الأعين، وهذ مما يعطي مساحة للعقول في إثارة الفكر والتأمل، من أجل أن تختار ما فيه صالحها وأن تجتنب ما فيه ضررها، ولا تجد العقول المفكرة والقلوب الواعية أمامها إلا أن تسلم بما طلب منها.

٥-تجلى إيثار استعمال النبي ﷺ لفن التمثيل القصصي في الأحاديث النبوية الشريفة، باعتباره وسيلة من وسائل التعليم والتعلم لأصحابه ولأمته جميعًا؛ وهو أسلوب يستعمله المربي لتجسيد الفكرة ولتوضيح الأمر الذي يريد أن يعلمه للمتلقي.

٦-تبين أن التشبيه التمثيلي في أحاديث النبي ﷺ تشبيهات صالحة لكل زمان ومكان؛ إذ لم يقصرها على مكان دون مكان أو زمان دون زمان، ومن ثم كان لها تأثيرها في نفوس المتلقين، وذلك يظهر في حرصه ﷺ على تجسيد المعاني في صور محسوسة ومادية، مما جعل جميع الصور والتشبيهات التمثيلية مملؤة بالحركة والحياة.

وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات، من أهمها:

١-التأكيد على أهمية البحث في بلاغة الفنون البيانية في الحديث النبوي الشريف.

٢-التركيز على دراسة القيمة الجمالية في النصوص النبوية الشريفة.

٣-العناية بالبحث البلاغي في الحديث النبوي؛ للكشف عن دوره في تأدية المعنى وتأثيره البليغ في نفس المتلقي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

إسماعيل، محمد بكر، (١٩٩٧م)، قصص القرآن من آدم عليه السلام إلى أصحاب الفيل، (ط:٢)، القاهرة: دار المنار.

الأشقر، عمر، (١٤٢٨هـ)، صحيح القصص النبوي، (ط:٧)، عمّان: دار النفائس.

ابن حجر، أحمد العسقلاني، (١٣٧٩هـ)، فتح الباري، (ت: محمد عبدالباقي)، (ط:١)، بيروت: دار المعرفة.

ابن حنبل، أحمد، (١٤٢١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: شعيب الأرناؤوط)، (ط:١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن سلّام، أبو عبيد القاسم، (١٩٨٠م)، **الأمثال**، (ت: عبدالمجيد قطامش)، (ط:١)، دمشق: دار المأمون للتراث.

ابن القيم، محمد الجوزية، (١٤١١هـ)، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (ط:١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن منظور، جمال الدين، (١٤١٤هـ)، **لسان العرب**، (ط:٣)، بيروت: دار صادر.

أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، (١٤٠٦هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد الدالي، (ط:١)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

أبو هلال، الحسن العسكري، (١٤٠٤هـ)، **الصناعتين الكتابة والشعر**، تحقيق: مفيد قميحة، (ط:٢)، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤٠٠هـ)، **صحيح البخاري**، (ت: محمد فؤاد)، (ط:١)، القاهرة: المطبعة السلفية.

بلبع، عيد، (١٤٢٩هـ)، **مقدمة في نظرية البلاغة النبوية السياق وتوجيه دلالة النص**، (ط:١)، الرياض: دار بلنسية.

بو منجل، عبدالملك، (١٤٣٧هـ)، **تأصيل البلاغة بحوث نظرية تطبيقية في أصول البلاغة العربية**، (د:ط)، الجزائر: مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده.

جرار، مأمون، (١٩٨٨م)، **خصائص القصة الإسلامية**، (ط:١)، جدة: دار المنارة.

الجرجاني، عبد القاهر، (١٤٠٢هـ)، **أسرار البلاغة**، (ت: محمود شاكر)، (ط:١)، جدة: دار المدني.

الجرجاني، عبدالقاهر، (١٤١٣هـ)، **دلائل الإعجاز**، (ت: محمود شاكر)، (ط:٣)، جدة: دار المدني.

الحازمي، خالد، (١٤٢٠هـ)، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**، (ط:١)، الرياض: دار عالم الكتب.

الخطاب، أسماء، ويونس،علي، (٢٠١٣م)، **القصة التمثيلية في نماذج من الحديث النبوي الشريف**، (د.ط)، العراق: جامعة الموصل-مجلة جامعة النجاح للأبحاث.

الدالي، محمد، (١٩٩٣م)، **الوحدة الفنية في القصة القرآنية**، (ط:١)، القاهرة: عالم الكتب.

الدكان، محمد، (١٤٣٠هـ)، **القصة النبوية في الصحيحين**، الرياض: رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

الدليمي، محمد نايف، (١٩٩١م)، **جمهرة وصايا العرب**، (ط:٢)، بيروت: دار النضال.

دوادي، زينب، (١٤٣١هـ)، **التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي الشريف: دراسة بلاغية في البيان النبوي**، الجزائر: كلية الآداب واللغات-جامعة الحاج لخضر باتنة.

رمضان، أوزمن، (٢٠١٨م)، **من بلاغة التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي**، مجلة البحوث العلمية الشرقية.

زعتر، نور الدين، (٢٠١٣م)، **في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي**، (ط:١)، مصر: دار السلام.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم، (١٩٨٧م)، **المستقصي في أمثال العرب**، (ط:٢)، بيروت: دار الكتب العلمية.

الزير، محمد، (١٤٠٥هـ)، **القصص في الحديث النبوي دراسة فنية وموضوعية**، الرياض: رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

السكاكي، يوسف، (١٤٠٣هـ)، **مفتاح العلوم**، (ت: عبد الحميد هنداوي). (ط:١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيد عبدالرزاق، محمد، (د.ت)، **التشبيه التمثيلي في الحديث النبوي: من خلال صحيح البخاري**، (د.ط)، مصر: كلية التربية-جامعة المنصورة.

الصباغ، محمد لطفي، (١٤٠٣هـ)، **التصوير الفني في الحديث النبوي**، (ط:١)، بيروت: المكتب الإسلامي.

صحراوي، إبراهيم، (١٤٢٩هـ)، **السرد العربي القديم**، (ط١)، بيروت: الدار العربية للعلوم.

الطيبي، شرف الدين، (١٤١٧هـ)، **شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن)**، (ت: عبدالحميد هنداوي)، (ط:١)، الرياض: مكتبة الباز.

عبد الدايم، صابر، (٢٠٠١م)، **الحديث النبوي رؤية فنية جمالية**، (ط:١)، الإسكندرية: دار الوفاء.

عز الدين، إسماعيل، (١٤٣٤هـ)، **الأدب وفنونه**، (ط:٩)، القاهرة: دار الفكر العربي.

عز الدين، كمال، (١٤٠٤هـ)، **الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية**، (ط:١)، بيروت: دار اقرأ.

العلواني، محمد، (١٤١٤هـ)، **الأمثال في الحديث النبوي الشريف**، (ط:١)، الرياض: دار المؤيد.

العمار، عبد العزيز، (١٤٣١هـ)، **من جماليات الاستفهام في البيان النبوي**، (ط:١)، الرياض: دار كنوز إشبيليا.

الغزالي، شعيب، (٢٠٠٥م)، **مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور**، مكة المكرمة: أطروحة دكتوراه، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى.

الغنيمي، عبد الآخر، (١٤١٩هـ)، **الفوائد المنتقاة من حديث القائم على حدود الله**، (ط:١)، الأردن: دار البيارق.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (٢٠٠٣م)، **كتاب العين**، (ت: عبد الحميد هنداوي)، (ط:١)، بيروت: دار الكتب العلمية.

لاشين، موسى، (١٤٢٣هـ)، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (ط:١)، القاهرة: دار الشروق.

مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، (١٤١٢هـ)، **صحيح مسلم**، (ت: محد فؤاد)، (ط:١)، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

المشهداني، محمود، (١٤٢٣هـ)، **التوكيد اللفظي أسلوبًا بلاغيًا دراسة في متن صحيح البخاري**، (ط:١)، الموصل: جامع الكتب الإسلامية.

مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، والنجار، محمد، (٢٠١١م)، **المعجم الوسيط**، (ط:٥)، القاهرة: مجمع اللغة العربية.

نجم، محمد يوسف، (١٩٥٥م)، **فن القصة**، (ط:١)، بيروت: دار الثقافة.

Bibliography

The Noble Quran

Ismail, Izz al-Din, (1434), Literature and Arts, (9thedition), Cairo: Dār al-Fikr al-Arabi.

Ismail, Muhammad Bakr, (1997), Stories of the Qur'an from Adam, to the Companions of the Elephant (in Arabic), (2thedition), Cairo: Dār Al-Manar.

Al-Ashqar, Omar, (1428), Sahih Al-Qasas Al-Nabawi, (1thedition), Amman: Dār Al-Nafais.

Ibn Hajar, Ahmad Al-Asqalani, (1379), Fath Al-Bārī, (Investigated by: Muhammad Abd al-Bāqi), (1thedition), Beirut: Dār Al-Maʿrifa.

Ibn Hanbal, Ahmad, (1421), Musnad Imam Ahmad Bin Hanbal, (Investigated by: Shuʿaib Al-Arnaout), (1thedition), Beirut: Al-Resala Foundation.

Ibn Salam, Abu ʿUbaid Al-Qasim, (1980), al-Amthāl, (Investigated by: Abd al-Majeed Qatamish), (1thedition), Damascus: Dār Al-Mamoun.

Ibn al-Qayyim, Muhammad al-Jawziyyah, (1411), Iʿlām al-Muwaqiʿīn ʿan Rabb al-ʿĀlamīn, (1thedition), Beirut: Dār al-Kutub.

Ibn Manzūr, Jamal al-Din, (1414), Lisān al-ʿArab, (3thedition), Beirut: Dār Sadir.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail, (1400), Sahih Al-Bukhari, (T.Muhammad Fouad), (1th edition), Cairo: The Salafi Press.

Abu Al-ʿAbbas, Muhammad bin Yazid Al-Mubarrid, (1406), Al-Kamil fī al-Lugha wa al-Adab, (Investigated by: Muhammad Al-Dāli), (1st edition), Beirut: Al-Risala Foundation.

Abu Hilal, Al-Hasan Al-ʿAskari, (1404), al-Ṣanāʿatain al-Kitābah wa al-Sheʿr, (Investigated by: Mufeed Qamiha), Beirut: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah.

Balbaʿ, ʿEid, (1429), Muqaddimatun fī Naẓariyat al-Balāgha al-Nabawiyyah al-Siyāq wa Tawjīh Dilālat al-Nas, (1thedition), Riyadh: Dār Balansiyyah.

Bou Manjil, ʿAbd al-Malik, (1437), Taʾṣil al-Balāgha Buḥūthu Nazariyatun fī Taṭbiqiyyah fī Uṣūl al-Balāghat al-ʿArabiyyah, (1st edition), Algeria: The Informer of Arabic Culture.

Jarrar, Maʾmoon, (1988), Characteristics of the Islamic Story (in Arabic), (1thedition), Jeddah: Dār Al-Manara.

Al-Jurjāni, ʿAbd al-Qahir, (1402), Asrār al-Balāgha, (Investigated by: Mahmoud Shakir), (1thedition), Jeddah: Dār Al-Madani.

Al-Jurjāni, ʿAbd al-Qahir, (1413), Dalāʾil al-Iʿjāz, (Investigated by: Mahmoud Shakir), (3thedition), Jeddah: Dār Al-Madani.

Al-Hāzimi, Khalid, (1420), The Principlas and Methods of Islamic Education (in Arabic), (1thedition), Riyadh: Dār ʿĀlam Al-Kutub.

Al-Khattab, Asmā, and Yunus, ʿAli, (2013), The representative story in models of the Noble Prophet's Hadith (in Arabic), (1thedition), Iraq: University of Mosul - An-Najah University Journal for Research.

Al-Dāli, Muhammad, (1993), The Technical Unit in the Qur'anic Story, (1thedition), Cairo: The World of Books.

al-Dukan, Muhammad, (1430), The Prophet's Story in the Two Sahihs (in Arabic), Riyadh: Ph.D.Thesis, College of Arabic Language, Imam University.

Al-Dulaimi, Muhammad, (1991), Jamharat Waṣāyā al-ʿArab, (2thedition), Beirut: Dār Al-Niḍāl.

Dawoudi, Zainab, (1431), Simile Representation in the Noble Prophet's Hadith: A Rhetorical Study in the Prophet's Statement (in Arabic), Algeria: Faculty of Arts and Languages - Haj Lakhdar University, Batina.

Ramadan, Ozman, (2018), From the eloquence of representational Simile in the Prophet's hadith (in Arabic), Eastern Scientific Research Journal.

Zaʿtar, Nour al-Din, (2013), In the Shadows of the Prophet's Hadith (in Arabic), (1thedition), Egypt: Dār al-Salām.

Al-Zamakhshari, Jarallah, (1987), al-Mustaqṣi fī Amthāl al-ʿArab, (2thedition), Beirut: Dār Al-Kutub.

Al-Zeer, Muhammad, (1405), Stories in the Prophet's Hadith (in Arabic), Riyadh: Ph.D.thesis, Imam University.

Al-Sakkaki, Yousuf, (1403), Miftah Al-ʿUloum, (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah.

al-Sayyid ʿAbd al-Razzaq, Muhammad, Simile representation in the Prophet's hadith: through Sahih Al-Bukhari (in Arabic), Egypt: Faculty of Education - Mansoura University.

Al-Sabbagh, Muhammad, (1403), al-Taṣwir al-Fannī fī al-Hadith al-Nabawī, (1thedition), Beirut: al-Maktab al-Islāmī.

Sahrāwi, Ibrahim, (1429), The ancient Arabic narration (in Arabic), (1thedition), Beirut: al-Dār al-ʿArabiyyah li al-ʿUloum.

Al-Tibi, Sharaf Al-Din, (1417), Al-Kashif ʿan Ḥaqāʾiq al-Sunan), (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Riyadh: Maktabat Al-Bāz.

ʿAbd al-Daʾim, Sabir, (2001), The Prophet's hadith, an aesthetic vision (in Arabic), (1thedition), Alexandria: Dār Al-Wafa.

ʿIzz al-Din, Ismail, (1434), al-Adab wa Funounih, (9thedition), Cairo: Dār al-Fikr al-ʿArabi.

ʿIzz al-Din, Kamāl, (1404), The noble hadith from the rhetorical point of view (in Arabic), (1thedition), Beirut: Dār Iqra.

Al-ʿAlwāni, Muhammad, (1414), Proverbs in the Noble Prophetic

Hadith (in Arabic), (1thedition), Riyadh: Dār Al-Muʾyyid.
Al-ʿAmmar, ʿAbd al-ʿAziz, (1431), From the Aesthetics of Interrogation in the Prophet's Statement (in Arabic), (1thedition), Riyadh: Dār Kunouz Isbīliyyah.
Al-Ghazāli, Shuʿaib, (2005), Mabāḥith al-Tashbīh wa al-Tamthīl fi Tafsīr al-Taḥrir wa al-Tanwir li Ibn ʿĀshūr, Makkah: Ph.D.Thesis, Umm Al-Qura University.
Al-Ghunaimi, ʿAbd al-Akhir, (1419), al-Fawāʾid al-Muntaqāt min Ḥadith al-Qāʾim ʿalā Ḥudoud Allah, (1thedition), Jordan: Dār Al-Bayariq.
Al-Farahidi, Al-Khalil, (2003), Kitāb Al-ʿAin, (Investigated by: Hindawi), (1thedition), Beirut: Dār Al-Kutub.
Lashin, Musa, (1423), Fath Al-Munʿim, (1thedition), Cairo: Dār Al-Shorouq.
Muslim, Ibn Al-Hajjaj, (1412), Sahih Muslim, (Investigated by: Muhammad Fuad), (1thedition), Beirut: Dār Ihyā al-Kutub al-ʿArabi.
Al-Mashhadani, Mahmoud, (1423), Verbal Emphasis as a Rhetoric Approach a Study in the Book of Ṣahih al-Bukhāri (in Arabic), (1thedition), Mosul: The Collector of Islamic Books.
Mustafa, Ibrahim, and Al-Zayyat, Ahmed, and ʿAbd al-Qadir, Hamid, and Al-Najjar, Muhammad, (2011), Al-Mu'jam Al-Wasīt, (5thedition), Cairo: The Arabic Language Academy.
Najm, Muhammad Yousuf, (1955), The Art of a Story (in Arabic), (1thedition), Beirut: Dār al-Thaqāfa.

١٣٨١
١٩٦١

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Journal of
Arabic Language and Literature

Vol : 6 | Part : 1 | Sep - Dec 2022